سلسلة إبداعات سودانية

(١)

تيجَانُ الحَكي

قصص قصيرة لمجموعة من الكُتاب السودانيين

أحمد أبوحازم
الهادي راضي
جمال الدين علي الحاج
عمر الصايم
سارة الجاك
محاسن الجاك
محمد الخير حامد
محمد حسن النحَّات
محمد خلف اللّه سليمان
منصور الصويم

إعداد وتحرير

محمد الخير حامد

يناير ٢٠١٩م

سلسلة إبداعات سودانية

(1)

تيجـــــان الحـــــكي

قصص قصيرة

تأليف مجموعة من الكتاب السودانيين

أحمـــــد أبو حـــــازم	الهـــادي راضـــــــــي
جمال الدين علي الحـــاج	عمـــر الصـــــــايم
ســـــارة الجـــــاك	محاســـــن الجـــاك
محمد الخـــير حامـــــد	محمـد حســـن النحـــات
محمد خلف الله سلـــيمان	منصـــور الصـــــويم

جمع وتحرير

محمد الخير حامد

يناير 2019م

سلسلة إبداعات سودانية

منشورات متسلسلة لمجموعة من الكتاب السودانيين
في مجالات: القصة القصيرة، القصص القصيرة جداً،
الشعر العربي الفصيح، والشعر العامي.

جمع وتحرير: محمد الخير حامد

E.MAIL:MEDO1199@HOTMAIL.COM

اسم الكتاب: تيجان الحكي
نوع المؤلف: قصص قصيرة - السودان
تأليف: مجموعة من الكتاب السودانيين
حجم الكتاب: 21.5 * 14.5 سم
عدد الصفحات: 224 صفحة
الطبعة الأولى – يناير 2019م.

مجموعة من الكتاب السودانيين

تيجــان الحــكي

قصص قصيرة

المحتويات



المقدمـــة

في البدء؛ نحمد الله تعالى، ونشكر فضله الكبير، بعد أن وفقنا، وكلل مجهودنا، بإنجاز هذه الإصدارة التي تمثل الثمرة الأولى من المشروع الذي قررنا تنفيذه؛ وهو إصدار سلسلة من الإبداعات السودانية في مجالات: القصة القصيرة، القصص القصيرة جداً، الشعر العربي الفصيح، والكتابات العامية السودانية.

بدأ المشروع بهذا الكتاب الذي جاء في مجال القصة القصيرة، وضم بداخله ثلاثين نصاً قصصياً لكُتاب سودانيين مختلفين، متنوعي الأساليب، ومن تيارات إبداعية مختلفة. ومن المؤكد أننا سنتبعه في الفترة القادمة - وبإذنه تعالى- بالعديد من الإصدارات الأخرى، لكُتاب سودانيين آخرين، وفي مجالات الإبداع التي أشرنا إليها، وركزنا النشر في مجالاتها.

ننتهز هذه الفرصة كذلك لنؤكد؛ بأن ما ننشره ونقدمه في هذه السلسلة من الإبداعات؛ ليس المقصود منه الزعم بأن الكتابات المنشورة بالداخل فقط؛ هي التي تمثل المختارات من خلاصة الإبداع السوداني، بقدر ما هي جهود لتوثيق التجارب السودانية في المجالات المعنية، وتقديمها للجيل الحالي، الذي نظن أنه يتابع ويقرأ الكتاب الإلكتروني أكثر مما يمسك بالورقي بين يديه. وهي أيضاً؛ محاولات للإستفادة من الطفرة التكنلوجية والإنترنت، وسيطرة التقنيات الحديثة على مجمل الحياة، بعد أن أصبحت من

أنجح سُبل الانتشار، وساهمت في توزيع وتسويق عديد الإبداعات المنسوخة بالطرق الإلكترونية الجديدة، خاصة طريقة الـ PDF وأوصلتها إلى القراء، وبالتالي مكنتهم من سرعة الإطلاع على المنجز المعرفي والأدبي والإلمام الكامل به. ومن جانب آخر آثرنا أن يأتي جهدنا بعميق الفائدة وشموليتها، كي يمثل الإضافة النوعية المرجوة للمكتبة الوطنية، ويكون مُحفزاً للنقد، وخدمةً للقراء، ليبحثوا بعد ذلك عن مجمل التجربة للكاتب الذي يستهويهم، أو يلفت نظرهم.

كان من الواجب علينا أن نشير هنا أيضاً؛ إلى أن كل الأعمال المنشورة بهذا الكتاب لم تتعرض لأية تعديلات أو إضافات. لأنه؛ واستناداً على دعوتنا التي قدمناها للمبدعين المشاركين في أول الكتب بهذه السلسلة؛ ما كان لنا الحق في فعل ذلك. وكل ما قمنا به عند القيام بتحرير ونشر هذا المؤلف؛ هو أننا عرضنا الأعمال كما هي على لجنة متخصصة. لفرزها، وتحديد مدى صلاحيتها الفنية للنشر، وجمعها، ومراجعتها لغوياً، ومن ثم تصحيحها، وتنسيقها، وتنضيدها طباعيا، ليتم بعد ذلك نشرها كما ظهر بالكتاب في شكله النهائي. ثم رتبنا الكُتاب وأعمالهم ترتيباً أبجدياً، واخترنا للمجموعة عنواناً رأينا أنه يعبِّر عن المحتوى المقدَّم بالنصوص الداخلية بفهم أن الحكي مُشاع للكل لكن تيجانه هم القصاصون والسُراد.

بعد كل ذلك عزيزي القارئ؛ لا نريد أن نحول بينك وهذه النصوص القصصية التي تُقدم نفسها بنفسها، وكل ما نرجوه ونتمناه؛ أن نكون قد وفقنا في مسعانا الذي رمينا إليه عند تفكيرنا في هذا المشروع الإبداعي، آملين أن تُحقق لك قراءتك لهذا الكتاب الفائدة والتشويق معاً، فهما المتعتان الأساسيتان المنشودتان من كل قراءة.

محمد الخير حامد
المُحــــرر



أحمـــــــد أبوحــــــــــازم

نصوص:

نثار الهواجس والجنون

صفير الجماجم الخاوية

عبث الأصابع الآبقة



نَثارُ الهَوَاجِسِ والظنون

انحناءة رأسه بعمامته الضخمة، وانكبابه على آنيةِ الطعام أمامه، لا يتيحان رؤية وجهه.. يده تذهب وتجيء بين فمه والآنية، مثل رافعة قديمة، انحنيتُ ووضعت طعامي بالجهة المقابلة له، على الطاوِلَة الوحيدةِ بالمطعم، ثم خطوتُ نحو مغسلةَ الأيدي، صَفَعَتْ أذنيَّ عَطسة مهولة، التفتُّ ناحيته، رأيته ينفَض من جلبابه الفضفاض نثار طعامٍ انتشر فوقه.. غسلتُ يديَّ وعدتُ إلى طعامي، جلستُ قبالته، فصرنا كقوسي كتابة، وجدتُ النثار، وقد غطى برشاشه، جزءاً من سطح الطاولة، بالقرب من آنية طعامي، رمقته بطرف عيني، تلقتني استدارة عمامته الضخمة، وقد اختبأ وجهه تحتها، كان منكفئاً على آنيته يأكل بنهمٍ غريب، لكنني أعرف أمثاله ونواياهم، أظنه كان يراهن على تقززي، وتعوُّفي لطعامي، فيسحبه عليه، ولكن هيهات، سحبتُ آنيتي، وطفقتُ أَزدردُ ما قد أرجم به نأمة الجوع، علَّني أردم الهوة التي تتسع حثيثاً، بجوفي الخاوي منذ يومين، وسوستْ بخاطري ظنون عارمة، ملأني الشك بأن نثار عطسته المجلجلة، ربما أصاب طعامي، وكلما رفعتُ رأسي لأتملى وجهه، يصطدم وجهي بالاستدارة اللولبية لعمامته الضخمة، رغبة جامحة تدفعني لأرى تقاطيعه، ربما تخبرني ملامحه، لأية خارطة من الأمراض ينتمي، وعبر ذلك أعرف نوع العدوى التي يحملها، والتي يمكن أن تغزو جسدي النحيل، وتفكَّ عضده، وكيف يمكنني الوقاية منها.

متحايلاً رجوته أن يمدَّ لي علبة الملح من جواره، قال: إنها فارغة، ولم يكلف نفسه، عناء رفع رأسه ناحيتي.. غمغم بكلماتٍ مبهمة، ثم ضاعف انكفاءه المريب، وزاد انكبابه على آنيته، ونشطَ ازدراده لطعامه الذي أوشك على الانتهاء

بينما كنت أهم بازدراد آخر لقمة من طعامي، وجدتُ ما يشي بأن نثار تلك العطسة المهلكة، قد لوَّثَ وجبتي فعلاً، فمنذ أن عطس بصوت مزلزل، أخبرني قلبي، بأن شيئاً ليس عادياً قد حدث، حينها كَان قد فرغ من طعامه، ثم نهض بطريقة مباغتة، واستدار بخفة العناكب، ليوليني ظهره، لم يمنحني فرصة التمعُّن في قسماتِ وجهه، لقراءة ملامحه، والتعرف عليه عن قرب، مشى صوب المَغسلةَ، نهضتُ وتبعتُهُ، خمنتُ أنه أحسَّ بحركتي خلفه، وإلا لماذا اتسعتْ خطواته تجاه حوض المغسلة ؟! قلت، لنفسي ربما تكون الفرصة مواتية، أمام المغسلة، لتحقيق ما أصبو إليه.. لن أحادثه، سأكتفي بتفرُّسِ وجههِ، والنظر داخل بؤبؤ عينيه، لعلِّي أعرف إن كانت أمراض الرجلَ من النوع المزمن، أو من الصنف الفتاك القاتل، والمميت من حيث سرعته، أو بطئه، أو مباغتته. لا أذكر متى قرأتُ كلاماً كهذا، ولكنني قرأته على كل حال في مقالة في الطب، أو في الفلسفة، أو في الهندسةِ الوراثية، لستُ متأكداً تماماً.

حين حاذيته في حوض المغسلة، كان مُكباً على وجهه، قرب الحنفية، مثلما كان يفعل قبل قليل على طاولةَ الطعام، كان منشغلاً بمضمضة لا تنتهي، حاولتُ مضايقته بحيلٍ مختلفة، فوطئت على نعاله الأفطَح تحت المغسلة، اكتفى بسحب قدَمه من النعال، فصار

الحذاء مثل ضفدع نافق، رفعت صوتي بكلمات اعتذار فخيمة، ولم يعط اعتذاري المُفَخَّمَ ذاك، أية درجة من الأهَمية، استأذنته بأن يناولَني قطعة الصابون التي بين يديه، مدَّها من فوق عمامته اللولبية، ممعناً في انكفائه، ومضى يمسح شيئاً كأنه وجهه، بيد أنه لم يرفع رأسه عن حنفية الماء قط، تفاقمت الحيرة بخاطري، لكزته بكوعي الحاد، لكزةً موجعة، تزحزح قليلاً، ثم لاذ بزاوية المغسلة، وفاقم انكفاءه هناك، لملم طرف جلبابه، وانطوى على نفسه، ليغسله من لوث نثار الطعام عليه، بينما برزتْ حدبة كبيرة على ظهره المقوَّس، كان مهجساً بإزالةِ ما علق بجلبابه الفضفاض، من بقعٍ بألوان المُنَكهَات، ونثار برائحةَ التوابل، كان يفرك الجلباب ببعضه، ثم يبلّلَهُ ليفَركهَ من جديد، في عملية لولبية تشبه استدارة عمامته الضخمة، أيقنت أن هذه المماحكة، ستستمر لوقت ليس بالقصير، لذلك يمكنني تناول كوب من الشاي، متربصاً بالرَجل، على المقعد الخشبي العتيق بمساميره البارزة، في الرواق الوحيد، الذي يُستخدم كممر للدخول والخروج معاً. وبينما كنت أهمُّ باحتساء الجرعة الثالثة من الشاي، فإذا بذبابة طائشة، كان حظها العاثر قد ساقها، فطاحت على الكوب، وفي اللحظة التي كنتُ أعالج فيها أمر الذبابة مع الشاي، كان جلباب فضفاض، قد عبر بالقرب مني، محدثاً هفهفةٌ عالية، مثل شراعٍ عريض في مهبِ العاصفة.

وضعتُ كوب الشاي بذبابه الطائش، ونهضتُ مسرعاً خلف الرجل، لكن بنطالي الوحيد، كان قد علق بأحد مسامير المقعد، فعكفتُ على تخليصه من براثن الكرسي. الدقائق تتساقط وأنا

أحاول التخلص من ربقة المسمار، مما فاقم المسافة بيني والرجل الذي ينطوي على سر، تحمله ملامحه التي يخفيها تحت عمامته الغريبة، ولما تعسر الأمرً و استطال، نزعتُ البنطال عنوةً من قبضة المقعد، فأحدث فتقاً طولياً، ومُزُقَاً عرضياً، لم أكترث لما حدث، كان همِّي الوحيد، هو اللحاق بالرجل صاحب الجلباب الفضفاض، والعمامة اللولبية.

مقتحماً الجموع، أتلفتُ في الجهات كلها، بحثاً عن وجه مفقود، تحت عمامة لولبية ضخمة، غاص في الخِضم، واندًغم في الغياب، ثم اختًفى.

فالرجل قد مضى يدحرج رجليه، يعبر الزحام، يفاقم اختفاءه، يبدأُ في الذوبان، وسط الجموع مثل قطعة ملح في حساءٍ ساخن، ثم يحمل ظله ويختفي، ما الذي يبتغيه الرجل الغريب مًن هذا الغياب؟ هل انحنى على كتف الظل، ثم فتح جبته للريح وطار، أم انشقَّتِ به الأرض وابتلعته في جوفها النهم السحيق؟ ومَنْ منا باغت الآخر ثم اختفى، وصار وشماً ضئيلاً في شبق الأفول؟ أظلُّ أبحثُ عن أجوبةٍ تهيض أجنحة الشك، ولكن شبكة من الأسئلة المعقدة، تلتف حولًي، مثل التفافِ نباتات (السلعلع) المتسلقة، على الجذوع، وتجعلني كمن يسأل حَرث البحر، حصاداً من رغوة ورذاذ.. يعبر الخوف قلبي.. تبتلعني الظنون، وتحاصرني الرِّيَبُ بأن ما حدث ليس حقيقياً البتَّة، أعدو في الشوارع كالمعتوه، أبحث عن ضالتي بين الملامح المتباينة، ثمة جلبابٍ يهفهف، وعمامةً لولبية ضخمة، تخوض في الزحام، أشقُّ الأمواج البشرية المتلاطمة، أتفرَّسُ الوجوه، لكن العمامة تختفي في منحدرات

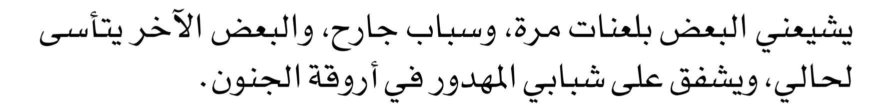
السيل البشري المتدفق، والجلباب الفضفاض يتضاءل بين التحام الأجساد، واحتكاكها، في حراكها الفوضوي العارم.

أعدو بلا هدى في الجهات كافَّة، أطرق أبواب الريح، لعلها تجيب، لكن الصدى يعود بأجنحة خالية، من ريش الأجوبة، أبحثُ عن قممٍ أصعدها، علَّني أستطيعَ رؤيًته بوضوح، بين الجموع المنحدرة صوب أوهامها السرابية الخادعة، لا شيء سوى كتل الغبار المتصاعد، وضجيج الباعة الجائلون، وهدير مولدات الطاقة المستنفدة على الدوام، أتسلقُ أعمدة الكهرباء، تارةً، وتارةً أخرى أصعد الدعامات الإعلانية الضخمة، أحدِّقُ في الملأ المتحرك باضطراد، لعلي أظفر ببغيتي المنشودة.. والناس مثل أسراب نمل مضطرب، في تداخلهم المذهل، وتقاطعاتهم العجولة.

يتجمهر المارة تحت الدعامة الإعلانية، يشيرون نحوي، ويتحاورون فيما بينهم، وثمة امرأةٌ عجوز تترجاني، أن لا أفعلها، وأقفز منتحراً من هذا المكان العالي، ولكنني وفي لحظة خاطفة، ألمحُ بين الجموع، الرجل ذاته بعمامته الملفوفة على رأسه، مثل حية خاملة، وبجلبابه الفضفاض، مثل خيمةٍ بدويةٍ تقاوم رعونةِ العواصف، وزحف الرمال المشاغب.

أهبط بسرعة جنونية، وبذات السرعة، يختفي الرجل.. يذوب.. يتلاشى.. يتبدد.. أرى الجموع، وقد أحاطوا بالمرأة العجوز، يهنئونها على شيء ما، لا أدري ما كنهه، لكنني لا أعيرهم من اهتمامي شيئاً يذكر، أركض كالملدوغ،

أجوب الشوارع كالمجنون، أهرف بكلامٍ مبهم، أسأل العابرين عن شخص غامض، بجلبابٍ فضفاض، وعمامة لولبية ضخمة،



يشيعني البعض بلعنات مرة، وسباب جارح، والبعض الآخر يتأسى لحالي، ويشفق على شبابي المهدور في أروقة الجنون.

صفيرُ الجماجمِ الخاوية

بشعور محايد فضضتُ الرسالة، كانت من زميلة لنا، في أحد مكاتبنا ًالإقليمية، وقد عُرف عن رسائلها الاستطرًاد والتطويل، فضلاً عن إيغالها في لغة أدبية، لا تناسب المكاتبات الرسمية، ولكن لا مناص من قراءتها، فثمة ًما هو هام وعاجل، كما جاء في ظهر المظروف.

السيد/ المسؤول الإقليمي الموقر.

ها قد بعثتموني هذه المرة إلى موطني، للوقوف على الأوضاع المتفاقمة فيه، وأرجو ان يتسع صدركم لقراءة هذه الرسالة، والتي تحوي في طياتها رسالة أخرى، أكثر أهمية، وأقوى مضموناً من رسالتي إليكم.

ملحوظة: ربما لن أستطيع الإتصال مرة أخرى.

سيدي:

وفق التكليف المناط بنا، وبرغم الخرائط التي بحوزتنا، فقد بذلنا مجهوداً كبيراً، للإستدلال على المنطقة المنكوبة، وكانت المفاجأة الداوية على الأقل بالنسبة لي شخصياً أن تكون هذه المنطقة، هي مسقط رأسي، ومراتع طفولتي، ومكامن بهجة شبابي، قبل أن ألتحق بمنظومتكم الموقَّرة.

لم يعد ما يدل على أن ثمة حياة كانت تتشعَّب في مفاصل المكان، تتخلل تلافيفه، وتدبّ في مكامن عصبه وشرايينه، سوى غارات متباعدة، تبعثها ريحٌ تولولُ مثل أمٍ ثكلى، تلامس الصمت المخيم

على الأشياء، كشواهد خرساء على ما جرى.. تشرخ جسد السكون الموحش، وتفاقم من المهابة المخيفة، التي ترزح تحتها أرجاء المكان المبذورة للتلف والاندثار
عبرتُ غابات الجماجم المشققة، والأضلع المكسرة، والهياكل المحترقة، ونثار العظام الآدمية المهشمة، باحثة عن دارنا بين ركام الرماد، وأنقاض الحرائق، لم يكن الأمر بهذه السهولة. توقفت برهة، أنقِّبُ في خبايا الذاكرة، عساني أستدل بعلامة تقودني إلى ما أريد، فأطلّت من شرفات الذكريات شجرة باسقة كانت تشمخ بالقرب من دارنا، كنا ونحن في ليونة الطفولة ورعونتها، نلهو تحت أفيائها، ونتسلّقُ فروعها السامقة، ونتأرجح على أغصانها الميَّادة. هاهي بعدُ، لم تزل في مكانها، وقد أصابها لهب الفجيعة، بعد أن التهم أوراقها بنهمٍ طاغٍ، ولحس جذعها بشراهة بيّنة، ها هي تقف في مكانها مكتسيةً بسخامٍ قاتم، وأوراقٍ محترقة، كشاهدٍ وحيد على ما أصاب المكان.
طفقتُ أنبش في رديم الرماد الماثل، تجرحني شظايا الأكواب الزجاجية المهشَّمة، وعندما أخطو، تتعثرُ قدمايَ بكُتلِ الأواني المعدنية المنصهرة، ويعترضني ركام الاعواد المحترقة، لكن ذلك كله، لن يثنِ عزيمتي في البحث عن أي أثرٍ، يدلني على عائلتي المنكوبة.
وأخيراً، وبعد أن توشَّحَ جسدي بالرماد، وسخام الحرائق، عثرتُ بين ركام حائط متهدمٍ، لم تلعقه ألسنة النيران، على رسالة بخط اليد، هي التدوين الوحيد لما حدث، وقد آثرت أن أبعثها إليكم

شخصياً، بوصفكم المسؤول الوحيد، عن ملف هذا الإقليم الملتهب، ودونكم الرسالة التي وجدتها بين الأنقاض.

ورجاءً ثم رجاءً، أن تتخلى عن عجالتك المعهودة، وتتحلى بالصبر هذه المرة، لقراءةِ الرسالة التي أعتقد أنها مهمة.. مع خالص تحياتي.

إلى الإخوة في الطرفين:

(لاتستغربوا فعلى الرغم من القهر، والظلم، والعسف، الذي مسَّني، وعائلتي، وناب أهالي قريتي، من طرفيكما، فأنتم ما زلتم إخوتي وأشهد الله أنكم كذلك ولكن صروف الدهر جعلتكم طرفي نقيض.

واسمحوا لي هاهنا، أن أرمز على أحد طرفيكم بالحرف (أ) وعلى الآخر بالحرف (ب)، هذا ليس موالاة لأحد فيكما دون الآخر، ولا لتقليل أو تضخيم أمر أحدكما، إنما للترميز فقط، لإبانة المواقف وإيضاحها، لذلك أرجو أن لا يثير هذا التصنيف اشمئزازكما، فتختلفان بينكما على من يستحق التسمية بالحرف الأول، وما مزايا هذا الحرف عن ذاك، ويحتدم الخلاف بينكما، ثم تقتتلان حتى تسيل الدماء إلى الرُكب، وتحلق أرواحٌ كثيرةٌ خارج أطرها الطينية المهدمة.

أنا لست من سكان العاصمة، ولا تستهويني السكنى، على هامة الضجيج، وصناديق الأسمنت، ولا حتى تلك المزايا والإمتيازات، التي ينعم بها سكان هذه المدينة المعدنية المنعَّمة، على الرغم من المغريات التي تجعلني من سكان المدينة بلا منازع. لذا آثرتُ البقاء في مسقط رأسي.. قرية كسائر القرى، صغيرة و نائية.

ومن سوء أو حسن الحظ؛ وأنا لستُ متأكداً من ذلك تماماً، فإن قريتنا تقع في منطقة يتنازع فيها طرفيكما، وهي بذلك إما في قبضة الطرف (أ)، أو تحت سيطرة الطرف (ب).

إخوتي في الطرفين، صدقوني أنا لا أكرهكم، ولكني أكره أفعالكم.

ففي تضاعيف ذلك الصباح الكالح، استفقنا على هدير زوبعة طاحنة، كمطارقِ الجحيم، وفوق فضاء بلدتنا غبار أسود، يظلل هامات البيوت في مثابرة غريبة، ثم تتكاثف ذراته، وتتمدد على حلوقنا فتسد مجاريها، مثل امتداد الوجع المباغت.

في تلافيف ذلك الصباح المشؤوم، كان الرصاص يئزُّ فوق رؤوسنا، والدويُّ الفظيع ينزع طين الأسوارِ وآجرها ثم يقذفه بعيداً، ويخلخلُ قواعد البيوت الملتحمة بجذور الأرض، وكان ملك الموت يتنزه في بلدتنا، بخطوات مرفهةٍ ومطمئنةٍ، يأخذ ما أمره الله بأخذه تحت هذا الجحيم المستَعر.

عفواً إخوتي في الطرفين، آمل ألا تتضجروا من لغتي هذه، وأرجو أن تثابروا على قراءة رسالتي لكم حتي نهايتها، فأنا أميل كثيراً لإستعمال لغة لا تُستخدم في الرسائل العادية، فقط لأنني ميَّالٌ للتفاصيلِ الدقيقة، كيما يبين (الغث من الثمين) وأُقْسِمُ بالله العظيم، وكتابه الكريم فإن الجملة بين القوسين، لاتعني أحدكما بأيةِ حالٍ من الأحوال، ولا أقصدُ بها الإساءة لكما، لذلك أرجو أن تفهمَ فيٍ سياقها فقط، من قِبلِ طرفيكما الموقرين هذا ما لزم توضيحه.

آن ذاك انتصر أحد طرفيكما على الآخر، وأحكم سيطرته على القرية بعد حرب قاسية، ثم تدفقت شاحنات ضخمة تجوب طرقات قريتنا جيئَةً وذهاباً، تأمر الأهالي بالتجمهر في الساحة الرئيسة بالقرية، وإلا فالويل والثبور لمن تخلّف.

حين احتشدنا في المكان، جيئَ بشقيقي الأكبر، مصفداً بأغلالٍ غليظة، وحُكِمَ عليه بالإعدام رمياً بالرصاص، أمام الأهالي، ليكون عبرةً لِمَن يعتبِر، بحجة أنه ينتمي للطرف النقيض، لا لشيئ، سوى أنه كان يعتمر قبعةً عسكرية استعارها من شقيقنا الأصغر، ليواري بها جرحاً غائراً سببه رصاصةٌ طائشة، عندما كان أحد عناصر طرفيكما ينظف بندقيته، دون مراعات لمن حوله.

تلك لحظات مرَّت على حلوقنا مثل الإِبر المسمومة، ولكنها ما تفتأ تعود مجدداً، حين تنفُضُ عن أطرافها رماد السكون والبيات المؤقَّت.

فها هو غبار حامض آخر، ورصاصٌ، ودويٌّ، وموتٌ مجاني، ودمٌ مهدورٌ للهباء، و كائنات حديدية ضخمة، تأكل كل شيء، ثم تغرس أسنانها الصلبة، في جوف الأرض المنكوبة، تبحث عن مكامنٍ غامضةٍ في الأغوار، ثم ما تفتأ تنفث في السماء، دخانها الأسودٍ الذي يسِد مسام الهواء، وجرافات تجرف كل شيء يعترض طريقها، ثم تغزو الدروب بضجيجها الجنوني، لتدهس بلا رحمةً منها، شجيرات الصفصاف الخجولة، التي إنطوت على حزنهاً المتنامي، و تبدت أحطاباً جافَّة، وتسحقُ نباتات الطَرَفَةُ الرقيقة، التي انحنتِ على جذوعها الرخوة. في وجعٍ دامٍ.

قتالٌ جديد، ومعركةٌ فتَّاكةٌ أخرى.. طرف آخر يَكرُّ بعنف شيطاني، ويستعيد قبضته على القرية. وكالعادةَ، أُمرناً بالاحتشاد، في الساحة الرئيسة،

و حين احتشدنا في المكان، هذه المرة، جيئَ بشقيقي الأصغر، مصفداً بأغلال غليظة، وحُكِمَ عليه بالإعدام رمياً بالرصاص، أمام الأهالي، ليًكون عبًرةً لمَن يعتبر، بتهمة أنه يوالي الطرف الآخر، فقط لارتدائه حذاءً عسكرياً، كان قد استعاره من شقيقنا الأكبر رحمه الله بعد أن أصابته شظيةً تائهةٌ ذات معركة هوجاء.

أما أنا، فالقوات في الطرف (أ)، تُصِرُّ على القول بأنَّني رمادي اللون، ولستُ من النوع الذي يرجم بالحَجارةِ، ولا حتي ذاك الذي يجلبها لمن يرجمون بها، وبيتي من زجاجٍ هين التهشيم، لذا فلا خوف لهم مني.

وتوصمني قوات الطرف (ب)، بأنني مثل (كلب السُرّه) لا أستطيع أن أفعل، ولا أترك الكلاب لأن تفعل، لذلك فلا قيمة لأفعالي، ولا من جدوى لقتلي.

أما أهالي القرية، فيصفونني بـ (شوكة الحوت.. لا تنبلع ولا بتفوت) وبهذا التوصيف فإنهم يعتقدون بأنني سبب كل هذا البلاء، وجالبٌ لغضبِ طرفيكما.

إخوتي في الطرفين، أرجو أن تتسع صدوركم، وتمتد حبال صبركم، لتقرأوا رسالتي حتى نهايتها، مع يقيني الكامل من أنكم لا تنصتون لمثل هذه الرسائل.

إن شهوة الدم التي تعتصركما، وتتوكأ على مدارج الرحمة في قلوبكم المتيبسة، تجعل من صدوركم الطافحة بالريب والشكوك،

والمحشوة بالغلِّ والدمار، مكاناً لايعرف الرأفة، ولا يتَّسع لذرة من العاطفة، فقد حولتما حياتنا إلى جحيمٍ لا يطاق، وجعلتما من الحدَاد صبغةً تلون مداراتنا، ومن نكهةِ الفرحِ الآسرة، لثغةً قارسة، تتناوب على أفئدتنا المكلومة.

إخوتي في الطرفين، لا نقول أن أرض الله واسعة، حتى تقتتلوا في مكان آخر، معاذ الله من ذلك، ولكنَّا نقول بأن أرض الله تسع الجميع، (ألفهم) و(باءهم) وغيرهما من الكائنات، فكفوا عن قتال بعضيكما، واوقفوا عنا هذا الترويع البغيض، ولتستبدلوا الرصاص بضحكات طرية وصادقة، تخرج من الحنايا، وأغنياتٌ تغزل المسرّة للقلوب اليائسة، وتنسج الحنين للغد المأمول، وتفتح كوةً للضوء ليغمر الجميع، وإلا ستتناثر الجماجم في كل مكان، ليتخلل تجاويفها الخاوية،عويل الريح، وصفيرها الكئيب.

لكم أُخُوَّتِي الخالصة /م/ع/ إنابةً عن المكلومين بسعير قتالكم،).

حين أكملتُ الرسالة التي وجدتها مندوبتنا بين الركام، انتابني غثيان حاد، ومادت رأسي بدوار ماحق، وزاد على كل هذه الأوجاع، ذلك الرنين الملح والمتفاقم، للهاتف الخاص بمهاتفات المسؤول الأول، على رأس المنظومة، وفي عجالة من أمري تناولت الهاتف، لأُصعق من جديد، بخبر إختفاء زميلةً لنًا بأحد مكاتبنا الإقليمية، في ظروف غامضة.

أعود للملحوظة التي ذيلت بها رسالتها، أقرأها من جديد، بتمعُّنٍ فاحص. لمعرفةِ ما خلف السطور.

تتمدد حشرجةٌ خانقة تقبض على حلقي الجاف، وزحار مالح يتواثب على صدري.. تتطاول أسئلةٌ جارحة في الحنايا، لتسُدَّ منافذ الهواء.

ما هي الظروف الغامضة التي أخفت هذه الزميلة المثابرة،؟؟! ما هي ملابسات هذه الاختفاء الغريب، ؟؟!! ولماذا تحولت القرية، إلى كومة من رماد تتلاعب به صغار العواصف؟؟! .

تعودُ أسئلتيً خائبة، إلى صدري المتخشِّب، رماداً كالحاً من آثام الحريق، تذروه رياحٌ طفيفة، وزوبعة هامسة تدخل عبر تجاويف الجماجم الجاثمة فوق الركام. ثم تخرج في صفير حزين يصمّ الآذان ويملأ المدى.

عبثُ الأصابعِ الآبقة

تزجي الساعات الطوال، وأنت تشاهد تطبيقات الفيديو، على هاتفك الذكي، لتتابعَ إنثناءات أصابعَ عازف الكمان، وهي تنقر الأوتار لِتَستَلَّ منها الأنغام ناعمَةً وشجية، تُقلِّدُ الحركات السريعة لأناملِ ضَارب الإيقاع، حين تتقافز برشاقة مدهشة على السطحِ الجلديِ المشدود، لا تشدُّك الإيقاعات برزيمها المنتظم، ولا تجذبك الموسيقى بدفقها الأخّاذ، إنما تحاكيها لتدرّب أصابعك على الخفة والمرونة، فتستطيل وتتلدَّن مع الزمن.

قبل ذلك كنت تركن لسوانح الأوهام، وجنون الفراغ المقيت، تمارس عاداتك الغريبة مثل جنِّي منبوذ.

وحدك الآن، ترتشّف صمتك المستبد، ثم تغوص في سديم أمنيةٍ تأبى أن تتجسَّد في طفلٍ يحمل اسمك، ليغسله من غبار الزمنً، ودرن الذكريات البغيضة، فتختار له اسماً بعنايةٍ مموسقة، لكيما يقترن باسمك المنسي، ثم وحدك تصطفيك قتامةً الأشياء، فترتجي نهارك المضموم بقبضة السراب.

ها أنتذا ترتب عنادك النحاسي الأجوف، حين تنفض المدينة نعاسها الفضي، وتنفث ضجيجها اليومي في مسام الأرجاء، تترك ضميرك خلفك، وتخرج.. تصعد الحافلة، ثم تهبط في المحطة الأخيرة.. تلج المطعم المكتظ بالزبائن.. تخرج وأنت تمسح فمك من بقايا طعام.. تنحشر في الزحام الصباحي العجول.. تعبث أصابعك تنقب بمحتويات الجيوب.

عند القيلولة تتحسر الخطى نحو خوائها، فيخرج الزحام من الناس، بينما تخرج أنت من الزحام، بجيوب ملأى بعبثِ الأصابع الآبقة.

عند تخوم الليل تخطّ على الأزقةِ خطوات تمتد في عجالةٍ لجوجة، تنقضُّ بقدميك على الطرقاتَ بنهم ماحق، كأنّك مُطَارَد، تعود باحثاً عن مُستقرٍّ لك في وكر الضَياع والتيه، تبعثر ما جادت به الغفلةِ على طاولة عرجاء.. أوراقٌ نقديةٌ بأرقامٍ مختلفة.. مذكرات صغيرة بخطُوط متعرِّجة.. عناوين وأرقامٍ هواتف.. صكوك مصارف.. بطاقاتٍ شخصية، وقوائم لمطلوبات يومية مختلفة، تعزل العملات النقَدية عن كل هذا اللميم المُتنافر، تُحصيها بدقَّة متناهية، ثم تضرم، ناراً تطعمها عناوين، وأرقام، وأسماء لأشخاصٍ لا تعنيك مصائرهم، هكذا أنت دائماً، فالصحو لا يطرق أبواب ضميرك المغلقة أبداً.

تنهضُ متثاقلاً مُتّكئا على انزلاقات روحك المتطحلبة، يدفعك وجدانٌ خالٍ إلا منَ نداء الفراغ، لتكدس الأوراق النقدية فوق حصيلة اليومً الفائت.

سنوات وأنت تراكم وهمك الأسود دائماً، لا يكبح جماح تصدُّعك الوجداني، إحساس بالشفقة على من تفتك أصابعك بجيوبهم، ولا يرتِّق دواخلك المهرَّأة، شعور بالعطفِ حيال المنكوبين بخِسَّتِكَ المفرِطة، ونزالة فعلك المذموم.

كانَ الجو خانَقاً حين عدت إلى وكرك المتهالك، لتشعل شمعتك المتقاصرة إلى زوالها، فتتراقص الظلال مثل أشباحٍ هاربة، لم يكن

يدور بخلدك قط، أن وجاهة الغبطة المستفيضة على جوانحك، ستتلاشى في الهباء والعدم، مثل غبارٍ أملس.

ها أنتذا تحوز على ثلاثة محافظٍ جلدية، كلها بالية وخفيفة وعتيقة، هي ثمرة جهدك المخاتل لهذا اليوم، تزمّ شفتيك متسائلاً:

ـ كم تساوي حصيلة هذه الحافظات القديمة الهالكة الكالحة؟؟.

تلقيها على الطاولة بامتعاضٍ بالغ، تدعها برهة ريثما تخلع ثيابك، ثم تعود لتمارس عاداتك المكرورة.. تبعثر حصيلة أصابعك اللئيمة على الطاولة العرجاء، مثل كل مرة، تعزل العملات النقدية على جانب من الطاولة، وعلى الجانبِ الآخر منها تضع بطاقات الهوية، والأوراق الأخرى، وكعادتك دائماً تقرأها بروية، وأنت تضحك في سرِّك على غفلةِ أصحابها، قبل أن تُلقِمُها لألسنةِ النيران.

باستياءٍ أصم تفضُّ الحافظة الأخيرة، كانت ممزقة الحواف، خفّتُهَا تنمّ عن ضآلة ما تحتويه، توشك أن تصرف النظر، ولكن فضولك الأرعن، يحثُّك على الفعل.. تُقرّبُ جوفها المُسطَّح المستطيل أمام عينيك، لا شيء سوى ورقة بالية، حائلة اللون.. تنزعها عن بطنِ الحافظة بلا مبالاة، لتجد على سطح الورقة ثمة رسمٍ تخطيطي، وخارطة توضيحية لموقع منزلٍ ما من هذه المدينة، تحدِّثُك نفسك بأنك تعرف هذا المكان جيداً، وثمة ورقة أخرى ملفوفةٌ بعناية.. تفضُّ طياتها العديدة.. تجد مبلغاً مالياً ضئيلاً.. تكتشف أن الورقة ذاتها كانت عبارة عن وصفة طبية لمريض ما.. في الزاوية العليا من الورقة، تحوز ببياناتٍ إضافيةً، عن اسم، وعنوان، وسكن المريض.

ويا للمصادفة، فقد كان الإسم المدون على الورقة لطفل، يتطابق تماماً، مع اسم الطفل الذي ينغرس في جذور أحلامك، مثل أقباس ضوءٍ في ليلٍ صحراويٍ بهيم.. تلك الأمنية العصية التي تأبى على التجسّد، في طفلٍ يحمل اسمك، ليغسله من غبار الزمن، ودرن الذكريات البغيضة.. تمعن النظر مجدداً قي الورقة، لتقرأ ما تبقى من الإسم، فتجده يتطابق هو الآخر مع إسمك حتى الجد الثالث، فتدرك أن الحافظة كانت لوالد هذا الطفل المريض.

مصادفة غريبة، تلك التي تجد فيها إسمك ذاته، بأجياله الثلاث، يحمله شخصٌ آخر، والأغرب من ذلك كله، اسم الطفل!! ذلك الأمل الذي يعشعش في خاطرك دون تحقق.. ترى ماذا يريد منك القدر!!.

اليوم فقط، تشعر باضمحلالٍ يوخز صميم روحك العليلة، تحس بقحطٍ يحزّ وجدانك الصدئ، تتآكل دواخلك من مرارة نزقها القديم، تدرك أن لعنة الماضي تلاحق أيام عمرك، يوماً بعد الآخر، يغمرك شعور ملتبس، تحس بأن قشور ضميرك المشروخ، تتعارض على حلقك كغُصَة نابية، تضجُّ مواكب الفراغ في أضلعك، توشك على البكاء.. تنبجِس في أفنية خاطرك ظلال ذكريات بعيدة، فيرتجُّ جدار الماضي بذاكرتك التعيسة إلى التاسعة من عمرك، حيث كان شقيقك الأصغر، يرزح تحت وطأةِ داء غريب، يتطلب الأمر، ترياقاً يستمر لمدد طويلة، لا يمكن تفويت جرعة واحدة منه، وإلا فالكارثة الماحقة ستفتك بالصغير.. ينقدك والدكما ثمن الدواء من الصيدلية، ويحثُّك على الإسراع.. تعبر الشارع الثالث، بإتجاه الساحة الرئيسة في الحي، حيث تنتصب المزالق

والأراجيح، والكراسي الدَّوارة، ولُعبة المراكب المتأرجحة، والساقية التي لا تَكفُّ عن الدوران.. كل لعبة ولها ثمنها.. رحت تجاري لهو الطفولة ونزقها، فتنخرط في متعك الصغيرة، وقتاً طويلاً، تنسى فيه محنة شقيقك الأصغر، وبينما كنت تتأهب لركوب لعبة أخرى، ترى والدكما وهو يحثُّ الخطى صوب الصيدلية، ثم يعود مسرعاً وهو يحمل علبة الدواء، تدرك أن تكليفك العائلي، قد أضحى في طور النسيان، يراك وأنت تلهو مع الصبية، يتوقف برهة ضئيلة قرب المزالق والأراجيح، يرميك بنظرةٍ حارقة كشُواظ الجمر، ثم يواصل مسيره العجول.

تهدأُ عاصفة نزقك الموّار، ويلوذ طّقس لهوك الأهوج بالسكون، فتعود إلى الدار، وقد خلا جيبك من ثمن الدواء، لترى رهط من الرجال يحملون لفافةً بيضاء، يتبعهم نواح والدتكما الذي يؤكد بأن ضميم هذه اللفافة، هو جثمان شقيقك الأصغر.

عمَّ الصدى في خواء وكرك المتآكل الجدران، أنت لم تتدرّب على الأحزان كما ينبغي، لذلك كان الأمر صادماً حين لطمتك زوابع اللحظة الفاجعة.. يتآزر عليك الأسف، ووميض الروح الشاردة لتوها إلى موطنها الأبدي، فتتجعَّد دواخلك، وتغدو مثل حذاءٍ أرهقه الترحال.

وحشةٌ قاتمة هبَّتْ عليك، مثل شآبيب ظلامٍ كاسرة، تدعوك بأن لا يتكرر الأمر ثانيةً، وتدفعك دفعاً نحو فعلٍ تظنه سيكفِّر لك إثمك القديم، فتزمع تنفيذه على الفور.

تنهض، ترتدي ثيابك سريعاً، تهرول لشراء الدواء، ثم تتجه لعنوان سكن الطفل، وحينما تصل المكان تماماً، وتتأكد من صحة العنوان،

ترى رهط من الرجال يحملون لفافةً بيضاء، يتبعهم نواح لامرأة ثكلى، يؤكد بأن ضميم هذه اللفافة، هو جثمان ذلك الطفل صاحب الوصفة الطبية، وجعٌ لئيم، يتلاعب بمكانٍ ما، من دواخلك المهشَّمة، يتجلى عريك، وتزداد غربتك، فتسرج جياد دمعك المطهمة.. تتحوصل عبرة مالحة على حلقك الجاف، كنت تريد أن تَلُفَّكَ السكينة مثل كل الأسوياء، ولكن.. ها هي مراميك تخيب وتتبدد، تتراكم طبقات الصدأ على وجدانك الكسير، وعلى صدرك يتحشرج بكاء صامت، وينزُّ وهنٌ حامض على مفاصلك، تجدِّف في الهواء بقبضتيك تلعن القدر، ولكن شيئاً حارقاً يتدفق على كفيك، تفتحهما، وتمعن فيهما بنظرة مرتعشة، ترى رؤوس أصابعك، تنطف بالدمِ نُطُفاً تتوالى، مثل بهيمة منحورة، تورق في خاطرك لحظة حرّاقة، تشي بأن سقمك الذي تعاني منه الآن، لا يدانيه انجرافك القديم، ولا هذا النواح المستبد، الذي ينحر وجدانك الخاوي إلا من رمل الأوهام، والرغبة المستعرة لعويل الفراغ.

الهـــــادي راضـــــي

نصوص:

عسف العسس

أدخنة متصاعدة

كَتِب الغواية.. محاية الأبالسة



عَسَفُ العَسَسْ

TO: ZOAL@HILA.SD.COM

FROM:FREEBOY@FREEDOM.COM

... وتسألني كيف حدث ذلك؟

OK يا صديقي سأخبرك بما جرى:

كان القدر وحده ما جعلني أخرج لأجل شراء سيجار من البقال المجاور لمكان الاجتماع.. وفي الطريق، حدسي أدار نظري صوب الشرق، فرأيتهم قادمين، ولم يكن أمامي غير أن أعبر النهر سباحة إلى الضفة الأخرى هرباً منهم.

كان الوقت شتاء، والكون يزف الشمس إلى مخدعها الليلي.

وعند الشاطئ الآخر، كان الحال:

مسغبةٌ تنهشُ الأحشاء..

زمهريرٌ يسدُ مسامات الدفء.

أبوابٌ موصدة.

خوفٌ وضياع.

واكتملت دائرة البؤس بهطول المطر.

كنت مبللاً، جائعاً وبلا مأوى. البناياتُ الشاهقة في ذاك الحي الرابض على الضفة الأخرى، تنسف فرضية إطعام جائع، أو إيواء ضيف. الأبواب موصدة بمزاليج ضخمة، وأسيجة حديدية حول المباني تكبت رغبة الاقتراب منها.

ومن شدة الجوع يا رفيقي خلتُ حُبيبات المطر حليباً سماوياً أرسله الرب لي، وكان طعم الماء المتساقط من السماء كما الحليب تماماً، فالجوع كافر يا صديقي.

رهق عجيب سرى في بدني. خطواتي واهنة ورأسي دوار. استدعاني النوم فلبَّى جسدي المنهك النداء قرب إحدى تلك البنايات الشاهقة.

توسدتُ شقائي ونمت.

وجدني رجل رحيم على تلك الحال.. مهمل، قذر، جائع ومستاء. لا أذكر كم مرَّ عليَّ من الوقت قبل أن يوقظني الرجل الرحيم.

أووه.. تذكرت يا صديقي، كان الآذان يعلن ميقات صلاة. الرجل في طريقه إلى المسجد، ولكَم تعجبتُ حين ناداني بـ(الشيخ). لكن دهشتي زالت عندما نظرت إلى جلبابي المزركش وتحسستُ شعري المجدول- هو لا يدري أنني ما زركشتُ ثيابي وجدلتُ شعري إلا لتضليل العسس- وللعسس دوماً أخبار فاجعة، هل سمعت يوما أو رأيت عسساً مسالمين؟.

باختصار: هَيّأ لي الرجل الرحيم مكاناً في المسجد القريب من تلك البناية الشاهقة، مكثتُ فيه حتى غادرت إلى حيث أنا الآن...

والآن:

أخبرني.. ما الذي جرى ويجري في البلدة بعد مغادرتي لها؟

TO: FREEBOY@FREEDOM.COM

ZOAL@HILA.SD.COFROM:

بعد خروجك انقلبت البلدة إلى ثكنة عسكرية. كأنما البلاد خلت من كل المشاكل إلا أنت ومن كانوا قربك. تم اعتقالي مع يوسف التمرجي وأستاذ منير ومحمد الخاتم ابن العمدة. أما الخواجية أولجا - ست المنظمة كما يناديها الأهالي- فقد تم طردها من الحلة ومن البلد كلها. خرجتُ من المعتقل صباح اليوم، وابن العمدة والتمرجي تم ترحيلهما إلى العاصمة. حدث ذلك بعد اختفائك بيوم واحد، ففي صباح اليوم الذي تلا خروجك الأسطوري، جاء أناس مريبين، ليسوا بعسس، لكنهم يقومون بأعمال العسس. داهموا مقر أولجا وفتشوه شبراً شبرا، عثروا على دفترك الأحمر- لم أفهم سر وجوده بين أشياء أولجا!! بعد ذلك انبرى رجل من أشباه العسس، وارتدى هذه المرة عباءة الفقيه، جمع أهل القرية تحت ظل الشجرة المنتصبة أمام منزل العمدة. وقف أمامهم كما الواعظ. بعض القوم تابعوه بانتباه، والبعض الآخر.. لا. لكن الجميع حدقوا فيه عندما رفع يده حاملاً دفترك الأحمر. قال الرجل: هاهنا ما يؤكد مروق الولد من ألـ........، ثم قرأ عليهم:

"المجد للشيطان.. معبود الرياح
من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)
من علم الإنسان تمزيق العدم
من قال (لا).. فلم يمت،
وظل روحاً أبدية الألم!
قال الرجل: لا يكتب مثل هذا الكلام إلا مارق.

لم تعد القرية كما كانت، ولم يعد الناس هم الناس. غادر معظم الشباب إلى المدينة بحثاً عن رزق أفضل بعد أن فشل الموسم الزراعي، وصديقنا عادل تزوَّج بنت رجل مهم في الدولة، وحصل على وظيفة مرموقة.

صدق قولك بأنه انتهازي، متسلق وتافه.

TO: ZOAL@HILA.SD.CO

FROM:FREEBOY@FREEDOM.COM

ياه.. الدفتر الأحمر!!! كم افتقده الآن. أولى صفحاته كتبت فيها شعراً لأمل دنقل – الرجل اختار ذلك المقطع بخبث مدهش – وسر وجود الدفتر بين طيات أولجا سأخبرك عنه، ولكن قبل ذلك نسيت أن أذكر لك بأني غادرت المسجد ذات ليلة في ثياب أنثى – الملابس أحضرها لي (مجدي كوارث) - وهذا الولد أمره عجيب. لا أدري كيف وجد مكاني، ولكني تفاجأت به يقتحم المسجد ذات صلاة، ببنطاله المرتخي وتي شيرته الأزرق، خفتُ أن يفضح أمري أمام سكان الحي الذين يؤدون صلواتهم في المسجد، ونَمَتْ بيني وبينهم علاقة جيدة، ولكنه كان ذكياً ولماحاً كعادته، فما إن رآني حتى صار يصيح (مَدَد يا مان.. مَدَد يا مان)، وانكفأ يُقبّلُ ظهر كفي.. بعدها، جلسنا طويلا ندبر أمر خروجي من البلد سالماً.

أما حكاية وجود دفتري الأحمر وسط أشياء أولجا.. ببساطة إني قضيت بعض الوقت - قبل خروجي- معها، فهي زوجتي. لم أخبرك بذلك من قبل – أتخيلك الآن مرتبكا كطفل ضُبط متلبساً

بفعل محظور – فقد كنت تسميها (باربي)، لا عليك يا صديقي، فأنا لم أخبرك ولم أُخبر أحداً آخر، لأننا تواثقنا – أولجا وأنا- على الكتمان لاعتبارات منطقية. فمن الطبيعي أن توجد أشيائي بين أشيائها، والدفتر نسيته مثلما نسيت أن أزيل بقايا تلك الليلة عن وجهي وقميصي.

TO: FREEBOY@FREEDOM.COM

ZOAL@HILA.SD.COFROM:

قمة الارتباك يا صديقي، أو بالأحرى هو مزيج من الغضب والحرج، غضب منك لعدم إخباري بأمر زواجك، وحرج لأني سميتها على دمية وهي زوجتك.. على أية حال، معذرة يا صديق.

حتى الآن لم يُفرج عن ابن العمدة والتمرجي، و...

من الطارق؟؟

....

من أنتم؟

....

ماذا تريدون؟

....

إلى أين؟

....

....

....

....

TO: ZOAL@HILA.SD.CO

FROM:FREEBOY@FREEDOM.COM

ما الأخبار؟

لماذا لا ترد على رسائلي؟

TO: FREEBOY@FREEDOM.COM

ASASFROM :

لن يرد في القريب العاجل، وربما لن يرد إلى الأبد. فهو مارق مثلك.

أَدْخِنَةٌ مُتَصَاعِدَة

عَصِيرُ الأَدْخِنَة:

وإذ رَأيتُه -صَباحاً- بجانبِ السورِ المتهالك متكئاً، شاخصاً نحو اللاشيء، باسماً بلا معنى، أدركتُ تماماً أنَه قد أعلنَ انفصاله عنّا، وأنه الآن يتسكعُ في حواري بلدةٍ شوارعها من زجاجٍ، وماءها حليب، نساءها عاريات إلا من قبعةٍ صغيرةٍ بيضاء تغطي أحد النهدين، رجالها طوال، ضخام، يرتدّون السَواد من قمةِ الرأس حتى أخمص القدمين، يطاردون النساء العاريات، يطاردهم شرطي يحمل هراوة.

دُخَانُ الحَشِيشِ:

حين مدّها إليَّ مشتعلةً، كان يحفها الجنون، ويختبئ في جوفِها المفتت بذور الانفصال والشرود، قال إنها أتت من غرب البلاد -والغربُ خصيب- وأنها سُقيتْ بمياهِ غدير.. حيث نساء مجنبات، وصبايا مراهقات، حائضات.. غسلنَ دنسهن. معتقة بعبق النساءِ المتزوجات ورائحة دنس الصبايا المراهقات. قال خذ، أيها الصديقَ اندفن فيها وأنس مرارات السنين التي ضاعت في جحيم الانتظار.. خذ، جرِّب أن تمص شذاها وتنفث شياطينها هكذا...

(دخانٌ كثيفٌ يَتَصَاعَدَ إِلَى أَعْلَى، مُشَكِّلاً حَلَقَاتٌ حَلَزَونِيَة بَيْضَاء تَتَلَوّي كَأَفْعَى فِي فَضَاءِ الغُرْفَة).

كان يبحلق في تلك الحلقات الحلزونية ويتعوذ من الشيطان الرجيم .

دُخَانُ النّدّ:

قالت رفيقته: خذها منه أيها الحزين، ادخل رحيقها في جوفِك وأطرد شياطينهاخارجاً. وخذ مني هذا المحشو بالتعاويَذ والرضاب المقدس ـ عود الند سواك الأولياء ـ كانت تقول أمي. اشعله، دعه بدخانه المقدس يكبل شياطين تبغك، يخاصرها، يراقَصها، يشملها بجبورته وسطوته، دعه يسكب فيها شيئاً من تعاويذ.. ربما تنجيك من الجنون. اشعِله، عله يضلل بسلطانه العطر هذا الشرطي المتربص.

سَفَرُ الأَدْخِنَة:

كالأرجوحَة تتحرك اللفافة بين شفتي ويدي، أمص شذاها وألفظ خارجاً شياطينها، وعود الند في احتراقه يعبق فضاء الغرفة بدخانه العطر.

الأدخنة تتحد وتصعد إلى أعلى.

أتابع رحلة الصعود مبهوراً بالتشكلات السريالية، والتكونات الغرائبية المتحورة والمتخلقة عن التداخل المثير. فجأة ينبجس لي من بين طيات الأدخنة المتصاعدة – المتحورة – جوادٌ أصهبٌ جميل، أُسرجه، أمتطي صهوته وأنطلق.. ملتحمان نغادر فضاء الغرفة المحدود إلى الفضاء الخارجي اللا متناهي. كالبراق يسبح جوادي الآن في السماء، أعبرُ سُحباً بيضاء وأخرى زرقاء، مررتُ بكتلة سحابية غطت الرؤية أمامي، تجاوزتها بمهارة لأجد نفسي أمام سحابة عابرة.. جوادي يتعثر، يكبو، أسقط، تجذبني الأرض، أهوى بسرعة ينخلع على إثرها ذراعي الأيمن، أواصل السقوط بانحراف، ينخلع ذراعي الأيسر.

ذراعاي انفصلا ونَبَتَ مكانهما جناحان.

منتشياً أحلق في الفضاء الفسيح وفمي منقار.

بعيداً.. أرى حبيبتي ترقد على صدر غيمة، يملأني غضب. أطير نحوهما وأحط على نهدها المتكور، ألثم شفتيها بمنقاري، الشفتان تدميان، يغطيني لون الدم، لون الدم يغطي السحاب. الدم ساخن ومذيب، يذيبني، حبيبتي والغيمة ينصهرا، جميعنا يحملنا ريح. مَ.. طَ..رٌ..

نَ

:

هْـ

:

طِ

:

لْ

أنزلُ ببلدة شوارعها من زجاج وماءها، حليب، نساءها عاريات إلا من قبعة صغيرة بيضاء تغطي أحد النهدين، رجالها طوال، ضخام، يرتدون السواد من قمة الرأس حتى أخمص القدمين، يطاردون النساء العاريات، يطاردهم شرطي يحمل هراوة، انحشر وسطهم، الجميع يدخلون صومعة وكل امرأة تأخذ رجلها وتصفعه.

عَــوْدَةٌ:

صفعتني رفيقته وقالت: عذراً أيها الحزين، صفعتك لأني رأيتك تدق بوابة الجنون، عُد الآن ودع عنك امتصاص الشذى، ولا تنظر إلى هذا المتصاعد أبداً في رحلته المجنونة. هاتها وأشدو لنا.

لم أشدُ. أردتُ أن أبكي.. انسللتُ خارجاً وبكيت.
سمعته يقول: خذي يا حبيبة، كسِّريه، اجعليه فتاتاً، ثم على هذا الورق الشفيف أنثريه وأطويه.. اصنعي لنا لفافة أخرى، افركيها على فخذك الرخامي لتتضمخ بشذاك يا حبيبة. فإنها أتت من الغرب.. والغرب حبيب.
.. ولما رأيته عند الصباح بجانب السور المتهالك متكئاً، شاخصاً نحو اللا شيء، باسماً بلا معنى، أدركت تماماً أنه قد أعلن انفصاله عنا، وأنه ربما يتسكع في حواري بلدة شوارعها من زجاج، وماءها حليب، نساءها عاريات، إلا من قبعة صغيرة بيضاء تغطي أحد النهدين، رجالها طوال، ضخام، يرتدون السواد من قمة الرأس حتى أخمص القدمين، يطاردهم شرطي يحمل هراوة.. ولكن ليس هنالك ثمة أنثى تصفع.

كَتِبْ الغِوَايَة.. مِحَايَة الأَبَالسَة

هَذَا الفَتَى قَدْ شَرِبَ مِحَايةً لا تَخُصّه[1].

1. المِحَايَة التي تَخُص الوَلَد حَمّدان – ولم يتَسن له شُربها - كانت لعلاجه من داء التقط عدواه من ود الحلب، كما زعمت أمه، بيد أن والده اعتقد أن شيطاناً أصلع قد تبول على رأس الصبي. عقد العزم على أخذه إلى شيخ حسان في خلوته الرابضة عند طرف البلدة.

الخلوة تضج بالصبيان الأشقياء، يتلون القرآن في حضرة العرِّيفْ، وإذا ما لاحقته نداءات الشيخ المتكررة.. وغاب عن عيونهم؛ فإنهم يلعبون، يتشاجرون، يتنابذون، ويضربون بعضهم بعضا.

الخلوة في نهارات البلدة المتعاقبة؛ وعندما يغيب الرجال، تعج بالنساء طالبات العمل، بالصبايا الحائرات، وبالمجانين.

حين حط رحل الوالد وابنه حمدان؛ كانت البتّ فِطَيّن تغادر الخلوة وعلى وجهها يعربد الحبور. حكى الوالد للشيخ، أن شيطاناً أصلع، حسد ابنه على شعره المسترسل، فبال على رأسه. وترك موضع البول ورذاذه، فجوات في رأس الولد وصفها الوالد؛ بأنها تشبه صلعة إبليس. قال الأب للشيخ: أكتب له محاية حرق الأبالسة.

استبقى الشيخ الولد إلى حين. كتب له على لوح نُحت من جذع شجرة سدر عمرها خمسون عاماً، "سورة الفاتحة، آيةالكرسي، خواتيم البقرة، الإخلاص والمعوذتين، ومحا ما كتبه بماء الورد على آنية من فخار، ثم كتب:

"بسم الله أرقيكم من كل شيء يؤذيكم، من شر كل نفس، أو عين حاسد، الله يشفيكم، بسم الله أرقيكم والله يشفيكم (3 مرات)" ومحاها أيضاً، ليكتب على اللوح:

"أعيذكم بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لآمة (3مرات)"ثم ختم بـ"اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، انك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد".

ولكن، ما حدث، أن حمدان ابن السابعة لم يشرب تلك المحاية، إنما شرب من آنية أخرى تجاور آنية علاجه.

مَرْيَمْ[2]، وَدَ الجنَّة[3]، البَقيعْ[4]، نَوّاي سائق اللّوري[5]، الفَكي أبُو شَامَة[6] وشَيْخ حَسَّان[7]؛ شَهِدوا علَى انفِلاتْ الوَلَدْ حَمْدَان منْ قَيدِ

بعد سبع سنين من تلك الشربة، وبعد أن نبت شاربه، صار يأتي بتصرفات باتت حديث أهل البلدة.

2 .مَرْيم، جارة للأُسرة، ذات قهوة، أَسَرَّتْ لأُمّه، أن الفتى أتاها خلسة بلَيْل، أراد أشياء لا تخص الرجال، وجَهَرت بأن الفتى ربما تاهت عنه رجولته، فقد طَلب منها خُمْرة ودِلْكَة وقليل من الكَبَرَيْت. حين سمعت الأم ذلك الحديث، غابت عن الوعي، ولما استفاقت، وجدته جالساً قرب رأسها، يلوك لبانة، يلقط حاجبيه، ويبتسم للمرآة.. فغابت إلى الأبد.

3 . وَدْ الجنَّة، رفيقه، كانا يغنيان لأصدقائهما في جلسات الأنس. يقلدان مطربي جيلهم، محمود، عصام، أحمد، وليد، نادر، الجزار، وشكر الله. ذات أُنس لم يكن حمدان بينهم، قال لأترابه: أن حمدان صار يترنم بأغاني البنات، وامتلأت ذاكرة هاتفه بأغنيات نانسي، هيفاء، جواهر، عوضية عذاب، حنان بلوبلو، ستونا المجروس، وبت الدَّيمْ، وبات يتغنج حينما يؤدي تلك الألحان البناتية، ويضع يديه على خاصرته عندما يتحدث مع الآخرين، وصار ناعماً، وقد ....

4 . البَقيع، أُخته الكبرى. فقدت الآتي: روج، فير آند لفلي، قلم حواجب، صابون لنضارة الوجه، مونكير، كريم مرطب للجسم، عطر ماركة مهند ونور، ومشد للصدر.

5 . نَوّاي سائقْ اللّوري، زجره ذات ليلة، وطرده من أمام باب منزله. قال لنفسه بعد أن شيع الفتىَ الذي اندس في ظلام الأزقة خجِلاً، (الوَدْ دا ما ....ولا شنو؟).

6 . الفَكي أبو شَامة، إن ما يأتي به حمدان من تصرفات، أمرغيرطبيعي، هو من نتاج الشيطان، وتأثير إبليس اللعين، وأعوانه شياطين الإنس والجن.

7 . الشَيخ حسّان، فليغفر لي الله، لم يكن خطأي أن يشرب هذا الفتى قبل سبع سنين محاية البت فطين بت جار النبي؛ يوم أرادت أن تغوي نوّاي سائق اللوري بالكَتبْ، جاءت تحمل همَّها، وأخبَرتَها أن كتابة الغواية لا تكتب إلا بقلم من شجر الأراك، على لوح منحوت من فرع شجرة لالوب أكملت العام من عمرها، وتمحى بماء الزعفران مخلوطاً ببذر سيسبان، وعرق زنجبيل. جذر لعوت جاف، وصَفَقة سَنَمَكّة. وتضاف إليها بعد سبعة أيام، نقع الهرقلية والكمأة والقصعين. وبعد أحد عشرة يوماً، يضاف إليها مسحوق لسان الغزال والداميانا. وأخبرتها أن الأراك واللالوب قرب

(الحفير)، بيد أن تلك الأعشاب والعطور لا توجد إلا عند العطارين بالمدينة. فقالت: أكتب لي تلك الأشياء في ورقة. كتبتها، وبعد يومين، كانت العطور والأعشاب أمامي. قالت أن نوّاي سائق اللوري هو من أحضرها، بعد أن طلبت منه ذلك. أحضرها ولم يكن يدري بأنه كان يحمل طقس غوايته.

كتبتُ الغواية، ومحوتها على آنية شاء لها أن توضع بالقرب من إناء الصبي حمدان. ولما رأيته صدفة، ذات نهار خريفي؛ يشرب كَتِبْ الغواية دون أن يدري، أدركت منذ ذلك الزمان، أن ما يحدث الآن.. لابد أن يحدث.

توضيح:

كَتِبْ الغواية إذا شربه الرجل البالغ، أو المرأة البالغة، فكل منهما يغوي الآخر، أما إذا شَرِبه غير البالغ، فإن البنت تتذكّر بعد الحيضة الأولى، والولد يتأنّثْ عندما ينبت شاربه.

السَّوَية. وشَيَخ حَسّان هُوَ مَنْ حدّثَ عَنْ وجُود التبَاس، غيَّر مَجْرى حَيَاة الوَلَدَ عِنْدَمَا تنَاول، ذَات يَوْم، كَتبِاً لا يَخصّه.

جمال الدين علي الحاج

نصوص:

وسقطت ورقة التوت

فقاعة صمت

رغوة الابتسامة البيضاء



وسقطت ورقة التوت

كان منفصما عن ذاته وهو يصلِّي بالناس استسقاء؛ وكنت خلفه متحداً مع روحها أتلو صلواتي، وقلبي غارق في وحل الأسى. روحها التي اشتعلت كألعاب نارية مبهرة قبل أن تتلاشى في الفضاء؛ تاركة جسدي يتمرَّغ في رماد الكآبة؛ باتت تسكنني. قالوا إن النار ستطهِّر جسدها؛ وكانت في قمة تلظيها تضحك وهي تمسك بيدي وتسحبني لنرقص تحت زخات المطر كما كنا نفعل في طفولتنا الباكرة. أبنوسة صقلتها أشعة شمس إستوائية. تعرف كيف تجلي غيوم الجمال المسكون بروح الأسلاف. أياد سماوية سكبت حبها قطرة؛ قطرة.... في فؤادي العطش وأنبتت الأحلام وقبل أن تزهر قطفتها يقظة. داهمني طيفها بمجرد دخولي في الصلاة ولا أدري هل كان الشيطان يتلاعب بي أم أنني رأيتها بالفعل واقفة بجواري في صف الصلاة؟

لم أستعذ منه تركته يغويني حتى أخرجني من نسكي؛ لابد أنني قطعت صلاتي؛ والتفت ناحيتها وفضلت أحدق فيها وهي خاشعة تتلو صلواتها بسكينة؛ وخيل إليّ أنني رأيتها تبتسم لي ثم تصعد ابتسامتها كدعوات صادقة. حتى قبل دخولي في الصلاة بلحظات؛ كانت بدفتر الذهن مجرد قصاصات ذكرى لمن ودعوا أرصفة الحياة الباردة المتسخة بلا دموع؛ ولا أدري لماذا عدت أقلب دفاتر الماضي في هذا اليوم بالذات. ربما كان الجو العكر هو السبب وليس الشيطان القابع بداخلي.

ذلك الصباح؛ والريح تمشط ضفائر الغيوم بأصابع أفريقية خشنة؛ والرذاذ يتقاطر خيوط من جبين السماء. والقدر المستل من جعبة اللوح المسطور مشدود على وتر الزمن يتأهب للإنطلاق؛ في ذلك الصباح بعد أن تعبنا من الرقص تحت المطر الذي بدأت زخاته تشتد؛ احتمينا بشجرة التوت المعمرة عند البئر القديم؛ يومها أخبرتني بحقيقة الشيطان الذي أتعبد الإله خلفه من قبل أن تعرف بنات إبليس طريقها إلى فراشي. قالت أن الشيخ أتاها في ليلة شتوية كهذه؛ وكان حسب ما فهمت منها يتوكأ نزق الصبا وعيناه تومضان مثل جمرتين مهملتين وقد أطلقت شرارتها فسوة شيطانية عابرة. نظر إليها بعينين غائرتين تشتهيان الطفو فوق طبقات الشوق المكبوت. قال لها لاهثا وقد سالت من محجريه خيالات فاحشة (نتزوج عرفي في السر وأطهرك من كل الذنوب). سكتت وقد فهم سكوتها وأحسه بقلبه الخاشع لإله الرغبة وقتها؛ بلع ريقه وبلل شفتيه بلسان ثعبان يتحسس مواطن اللدغ (يمكنني تدبر أمر زواج مسيار... عفوا أقصد مسفار). كاد يسقط عندما ضحكت؛ لملم بقايا هيبته المتناثرة وتسند على جدار الباب الموارب؛ أقسمت لي أنها رأت ذئبا عندما ابتسم وقال: (سمه ما شئت؛ المهم أن يجمعنا سقف واحد). موظف البنك كان مرابيا ومرتشيا؛ خيَّرها بين أمرين قال يمكنه تدبر أمر القرض ولكن عليها أن ترهن جسدها عنده ومع كل شيك قابل للسداد سيأخذ نصيبه من لحمها نيئا. وحتى يقنعها بعرضه السخي قال وابتسامة سمجة ترتسم على زواية فمه: (يمكنني تمديد فترة العقد لعشر سنوات وبدون فوائد حتى). الجزار كان حاسما كمدية. قطع من لحم

الفخذ المعلق أمامه ورماها لها ونظره سكين حاد يغوص في خيالات فاحشة: (سأبني لك دارا في المدينة بعيدا عن أهل القرية ولسانهم الزفر. أزورك في الأسبوع مرة واحدة ومن يتفوه منهم بكلمه أقسم لك سأقطع لسانه).

كانوا يرغبون فيها بالحرام الذي أحلونه، أما هي فقد أدمنت العشق الحلال الذي حرمه المجتمع. كانت تعشقه بجنون وتعلم أن لونها الأبنوسي لن يكون منسجماً مع ألوان اللوحة الزيتية التي رسمها المجتمع بريشة النقاء العرقي المغموسة في وعاء الدم الواحد. قالوا أن سلوكها المعوج خرب شبان القرية ولن يقفوا مكتوفي الأيدي حتى تنتقل العدوى للفتيات. النساء استشعرن خطرا ما؛ نبتت لهن شوارب؛ تحدثن بصوت ذكوري ربما كن يخبيئنه في جيناتهن. قالن نطردها من القرية في الحال. ثلاث نسوة وقفن وأشعلن النار. قالن بصوت جهوري مستلف: (لا. سيلاحقونها إلى حيث تذهب. نعرف أساليب الرجال). كُن مصممات على حرق الفتنة وليس نفيها أو وأدها.

وكانت تسمع كل ذلك وتبتسم وهي تنظر لي أن أتفوه. أن أعبر بايماءةٍ حتى. وأنا صنم ينظر للفراغ مرة ومرة لأبي الشيخ الذي لمحته فَي تلك الليلة الشتوية يتسلل خلسة إلى دارها.

سلم أبي منهيا صلاته ورفع يديه إلى السماء وأخذ يدعو ويتضرع. خلتها تسقط على الأرض وتستلقي على قفاها من الضحك. برهة وانطلقت العاصفة الرملية ودفنتنا بالحياة.

فقاعة صمت

(لا أحد غيرك يرتب هذه الفوضى). قال وهو يرمي بالملف على طاولة مكتبي؛ رفع السبابة وأضاف: (لا تنس أنك من طلب عملاً إضافياً).

آه لو عرف ماذا فعل بي؟

لقد هز أركان روحي وهدم ذاتي.

بعد خروجه مباشرة؛ انهمكت أقلب أوراق الملف الصفراء الباهتة. ثمة رسومات مبهمة وخطوط كنتورية لتضاريس مخيلة مجنونة.

يقتضي عملي متابعة أمر ازالة تلك البيوت التي قررت اللجنة بجرة قلم محوها من على الخارطة. مباني عتيقة هزت كيانها حركة العمران المتسارعة؛ فبدت مثل رجل فقير معدم وجد نفسه فجأة وسط صالة بورصة عالمية تعج بالثروة الصاخبة. (تلك البيوت القديمة عار على النهضة العمرانية. لقد شوهت وجه المدينة تماما). هكذا رد المهندس رئيس لجنة التخطيط على سؤال المذيعة المتأنقة عن القيمة التراثية لهذه البيوت؛ وعينه تستقرأ أفكارا فاحشة.

كنت أرى البنايات الزجاجية تقف بخيلاء على قارعة الطريق؛ وتنظر إلى بيوت البلدة القديمة من عل بإشمئزاز. وأسأل نفسي من أين لهم كل هذه الأموال؟

في زيارتي الأولى للحي المحكوم بالفناء؛ أمر على البيوت؛ أتلو قرار اللجنة عليها ككاهن أو مفتي وهي تقف صامتة تحضن

بعضها؛ وترمقني النوافذ بغبن العاجز أو المحكوم عليه بالإعدام في جريمة لم يرتكبها؛ وكانت كل الأدلة المادية والظرفية ضده. برتابة أضع سهما باللون الأحمر على صدرها ثم أعود بعد مدة؛ بعد انقضاء المهلة؛ ومعي كتيبة الاعدام؛ أتكئ على جدار اللامبالاة وأرقب الآلات المفترسة وهي تقضم أوصال البيوت كقطع البسكوت بتلذذ. أقراص من الذكريات الهشة المحشوة بطبقة من الأصوات الناعمة؛ وطبقات من الحنين تلتهمها الآلة النهمة المفجوعة في قضمة واحدة؛ تذوب الألفة بين فكيها في لحظة هي بمقدار بلع الريق ومد اللسان لتذوق طعم الفاجعة في شفتي صاحب الدار اليابستين المشققتين. لحظة بطول الحياة وعرضها؛ تستحيل فيها ذكرياته إلى ركام وتراب وغبار؛ ولا تكتفي الآلة القاسية بذلك وحسب؛ تجمعها في كومة كبيرة؛ كومة من الحجارة المصبوغة بالأحلام والآمال والدموع ورسومات طفولية؛ تحملها الشاحنات إلى مقبرة التاريخ حيث تتحلل وتذوب في تربة النسيان.

كنت أضع السهم الأحمر من جدار إلى جدار وكأنني أرقم بضاعة رخيصة تالفة؛ وأخبئ عيني من النظرات خلف نظارة شمسية سوداء. نظارة قاتمة علها تحجب ملامح الإنكسار والصدوع التي كنت أراها في تلك البيوت قبل وجوه أصحابها. تلك الوجوه البائسة كانت ترمقني بنظرات حزينة؛ وهي ترى حيواتها تتهاوى تحت أقدامها وكأنها لم تكن؛ وتظل الحسرة محبوسة بفقاعة الصمت لاتتفجر بهمسة. ما بال هؤلاء الناس؛ لماذا لا يصرخون؛ يسبون أو يستعطفون؟

لو رفعت كفي وأنزلتها لتهاوت ذكرياتهم تحت قدمي ولو تركتها مرفوعة في الهواء ينمو حاضرهم ويزهر ؛ ولكنهم لا يفعلون.
هل الكبرياء يمنعهم أم أن قلة الحيلة غطت قلوبهم وفاضت وتدفقت كما مياه الصرف التي تحاوط بيوتهم من كل الأركان؟
عندما فتحت الملف وظهر اسم الحي بحروفه المموّهة بالخط الأحمر؛ شعرت بنقزة في كبدي؛ رحت أقرأ الأوراق؛ أنقر بطرف عيني أسماء الشوارع والأزقة كما غراب حط على الشاطئ في شباك ممتلئة بالأسماك وكان الصياد غافلا في بطن القارب. الكلمات نبتت بيوت والأسطر تمددت أزقة والفواصل استراحت لنواصٍ. أحاول أن أخبئ عيني بين الأزقة ولا أقدر؛ أنفاسي لاهثة وقلبي يدق. زقاق البحر؛ السوق؛ أبوعلامة صارت بذهني طبقة شفافة من الثلج سرعان ما تذوب عندما تسطع عليها شمس الصباح؛ توقفت عيناي عند المخبز البلدي الذي يسد الزقاق كقاطع طريق كريم؛ خارت قواها؛ أسبلت جفنيها؛ أصابتها رجفة متقطعة والدموع كما العرق تسيل. أراد المدير مكافأتي ولكنه يعاقبني بهذا العمل. مسحت دموعي؛ أغلقت الملف وخرجت مسرعاً.
وأنا أتجول في الحي القابع في فؤاد البلدة القديمة؛ أتطلع إلى الشقوق والصدوع ليخرج منها صوت صديق طفولة يناكف أمه قبل الاستحمام. وتلك النوافذ السليمة والمكسرة ربما يطل منها شبح حب قديم. وأتساءل:
كيف يمكنك أن تنحي شهوة اجترار الماضي وأنت أمام طبق ملآن لشفتيه بخبز الذكريات الشهي الساخن؟

كيف ستقنع نفسك أنك تمضغ بخيالك أحداثا طفولية مضحكة؟ وهل ستترك لك قوانين لعبة الحياة مكانا لتمارس فيه مراهقتك أم سيأخذك قلبك وسط كل هذا الضجيج إلى عوالم من السحر اللامتناهي؟.

يندلق فوق رأسي الصوت العذب من الشرفة كماء بارد (حبيتك بالصيف حبيتك بالشتي). أتلكأ في عبور الطريق؛ تتجمد حواسي كلياً. وأنا أتتطلع إلى وجه البدر من ثقوب الشرفة؛ أخاله يبتسم لي؛ يضيء فلوات بقلبي التي ظلت معتمة لفترة طويلة؛ أبلع ريقي الجاف ويخفق قلبي كحلق ضفدع أفاق من بيات شتوي ليجد الشمس ساطعة. وددت لو أسألها؛ هل أنا ذلك الحبيب الذي تتغنين بحبه من الشرفة المطلة على البحر في كل الفصول؟

ومع علمي أنها كانت ستحرجني لو قالت نعم وتجرحني لو قالت لا، ولكنني لم أكن لاكترث. أكتفي بالاجابة الرمادية لعل؛ أضع كفيَّ المتعرقتين في جيوب بنطالي الوحيد وأمضي نشوان وأنا أدندن بالنغمة الحلوة؛ وأستلف سحر فيروز؛ فيخرج صوتي كالتيس الصغير؛ يغازل معزة تفوقه في الطول.

أخيرا وصلت إلى الدار الذي ولد فيه جدي الرابع. دخلت من الباب المشرع؛ أبي طامح فوق أريكته في الصالة وبجواره براد الشاي؛ أنفاس طبخ أمي عابقة من المطبخ؛ احتضنني بشوق وأجلسني بجواره وصب لي الشاي؛ قلب الأم حدسها؛ فأتت مهرولة تحمل سنواتها الستين وقرونا من اللهفة. قبلتني واشتمت عنقي وتحسست وجهي وصدري وساعدي وصرخت: (لماذا أنت

هزيل ألا تصنع لك ابنة نجار المراكب الطعام؟). وهرولت مهمهة إلى المطبخ. قلت.

- أبي..

- لا تقل شيئا لن أترك داري.

ولكن يا أبي..

قاطعني بكفه المرفوعة.

- يا ولدي؛ قم بعملك واياك أن تتراجع؛ ونحن في الحي لنا كلام ثان.

بعد مدة حضرت ومعي كتيبة الاعدام وكانت الصحافة وقنوات التلفزة حاضرة؛ والشمس في رابعة النهار وقفنا كجيشين متقابلين في ساحة سوق النسوان وكان الترقب سيدنا القاسي الذي لا يغمض له جفن؛ أبي يتوكأ حفيده ابن شقيقي ويتقدم الحشد؛ النساء أطلن من فوق الشرفات وأطلقن الزغاريد.

و كان ذلك آخر صوت نقلته القنوات الفضائية قبل أن ينقطع البث المباشر لنقل وقائع جلسة البرلمان.

رغوة الابتسامة البيضاء

كان الوقت هزيع ليل وقد طوى الظلام القرية تحت جناحه. وكان السكون الواقف على أهبة يصب مزيدا من العتمة كلما تناهي إلى مسامعه شخيب الطلمبات وهي تشفط مياه النيل بتواطؤ تام مع القمر الذي غاب عن الحضور متحججاً بسوء الأحوال الجوية. في هذا الجو الكئيب المنذر بقدوم العاصفة كان حميدة يقاتل وحده نواميس الكون. يشد العنان ويرفع سوطه لأعلى يسوط به ظهر الحمار كلما أحس بأنه يتراخى في سحب العربة. الحمار المسكين بدأ وكأنه يشاور عقله بأي طريق سيسحب العربة اللعينة والى أين سوف يجرها؟ كما أن خروجه من الدار في هذا الوقت المتأخر من الليل والمخالف لأوقات دوامه المتعارف عليها قد سبب له نوعا من الارباك فأخذ يلف ويدور حول نفسه. يرفع رجله الأمامية وقبل أن يدقها لأسفل يحفر بها الطريق متقدما للأمام تتقهقر الرجل الخلفية وتندق كوتد تثبّت جسمه في مكانه. هذا ما أثار حفيظة حميدة وسبب له الحنق والغيظ (عر.. عر. الله يقطع طاريك. المرض الـ...). انطلق الحمار يجر العربة بعد أن تلقى ضربة موجعة وصل فيها رأس السوط الى خصيتيه المدلدلتين. الحمار يعلم أن صاحبه يملك قلباً عطوفاً ولكن في حالات هياجه فهو ديك أحمق. حميدة يشد العنان بيد ويرفع السوط في عين الحمار بيده الأخرى محذّرا ومتوعدا. وحين يطمئن أن خطته نجحت؛ فها هو الحمار يركض بأقصى سرعة ساحبا معه العربة. كان حميدة يضع

السوط جانبا ويضم ابنته التي كانت تجلس بجواره الى حضنه. (ها.. يا ست أبوها. ما أحسن؟). ترفع الطفلة عينيها الذابلتين بصعوبة فيطير قلب حميدة من الفرح (الحمد لله ما زالت حية). يقول في نفسه ثم يشاركنا فرحته بصوت مسموع ويضيف (تعرفي يا فطين[8] يا بنتي العقارب لدغتها هينة. الخوف من لدغات البشر). يبتسم بسخرية ويقول: (البشر لدغتهم والقبر أسأليني أنا. أنا أبوك المسكين دا يا ما تعرضت للدغاتهم السامة). فطين المسكينة تتمايل على حسب مزاج الحمار وخياراته في انتقاء الحفر والمطبات التي كانت منتشرة بكثرة في الطريق. وفجأة شعرت فطين بنوبات الغثيان ثم ما لبث أن مالت على جانب مثل قلة صغيرة تدور بها تروس الساقية. حميدة ترك العنان على ظهر الحمار ومال بجسمه وهو يحمل طفلته ذات العشر سنوات ومثلما يفرغ قربة بطرف الحوض جعل ابنته فطين تفرغ وجعها بحرقة فوق الرمال. حركة العربة المتمائلة وارتجاجها جراء سقوطها في المطبات والحفر تكفلا بافراغ الباقي من قعر القلة. حين أفرغت فطين وجعها شعر حميدة أنها أفرغت عمرها القصير للتو. فاندلقت روحه وسالت من جميع أعضائه. دموعها وبقايا الخوف التي سالت من عينيها مسحها حميدة ببصره ولعن الزمن. (استغفر الله العظيم). مدد جسم الطفلة النحيل فوق العربة وجعل رأسها يستند على حجره (هانت يا فطين كلها ساعة زمن

8فطين. بكسر الفاء وفتح الطاء مع تسكين الياء. تصغير تمليح بالدارجة السودانية لاسم فاطمة.

ونصل المركز الصحي. عر. عر. المرض الــ..). شد العنان وساط ظهر الحمار برشقة من الضربات الموجعة فقفز الحمار لأعلى كحصان جامح قبل أن يجر العربة وينطلق بها.

كانت البروق التي ظلت تضحك عليه منذ لحظة اسراجه للحمار وتعليقه للعربة وخروجه من البيت وحتى هذه اللحظة قد دبّرت أمرها تماما. وبدأ ريح أهوج يهب من جهة الجنوب ورعد يدوي من جهة القبلة. ثم ما لبث أن احترقت السماء. كأن البرق اللاهب سوطا من نار يبدأ من جهة القبلة ويلتف من خصر السماء نازلا لأسفل الأفق كحزام من نار؛ فتسيل دموع السحب بغزارة. وما أن تسكب غيمة مياهها وترحل؛ البرق اللاهب لا يرحم السماء أبدا؛ يكر سحبا أخرى بسوطه الناري من مجاهل الأفق البعيد كما يسوق الراعي قطيع من الابل الجهم من تخوم الصحراء لمورد الماء.

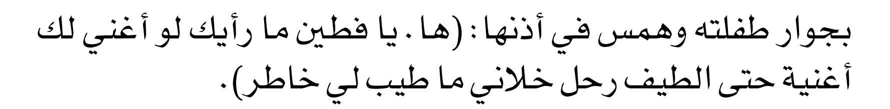
حين اشتد المطر العاصف بالبرق والرعد؛ خلع حميدة شاله من رأسه؛ ولفه علي جسد طفلته المرتجف من البرد ورفع يديه لأعلى مقوسا ظهره فانتفخ الصديري بسبب الهواء. ظهر حميدة المحني والصديري المنفوخ شكلا مظلة لجسم الطفلة. (تعرفي يا فطين من أول لم نكن نعرف مثل هذه الأمطار الغزيرة وفي موسم حش التمر! المطر رحمة من الله ولكن المطر في موسم حش التمر عذاب. أستغفر الله العظيم). وكأنه تذكر شيئا (كله من جراء هذا السد اللعين. المطر رحمة من الله. ولكن السد من أفعال البشر وبعض البشر عقارب. أهلنا زمان قالوا يا ما تحت السواهي دواهي. ونحن يا فطين يبدو أننا رفعنا ساهية كبيرة خرجت من تحتها عقارب الجبال السوداء وانتشرت في البلاد). يمسح الماء

عن وجهه وينظر لابنته. وجهها شاحب وابتسامة بريئه ترتسم على شفتيها. (آآه يا فطين لو تعرفي مفعول هذه الابتسامة. كنت أعود للبيت منهكا وجائعا آخر النهار وحين أرى الابتسامة البيضاء طافية كرغوة الحليب فوق شفتيك أشعر بالشبع ويزول عني التعب). ابتسم وقال: (حتى الحمار كان مغرما بتلك الابتسامة. فكنت أسمع ضحكاته تأتي من الزريبة وهو يمضع عليقته بتلذذ). انحنى للأمام كانه يهمس باذن الحمار (أليس كذلك يا رفيقي العزيز؟). الحمار رفع أذنيه موافقا كلامه وسار مترنحا وهو يجر العربة بالطين والوحل. (لما قلنا الناس بحاجة للصحة والتعليم. قالوا السد الرد. قلنا الهدام أكل الطين. قالوا الرد بالسد. قلنا السرطان والهجرة أفرغت المدن والقرى. جمعوا خلقا كثير. باللواري والبصات والقطارات والطائرات والدواب هتفوا فوق رأسنا الليل بطوله السد... السد. الرد... الرد. أبوك يا فطين كان الشعبة المزالفة وقفت في وجه الماكينة وقلت الحق.). يبتسم بأسى ويقول (الأرض والنخيل جرفتهم المياه. والتعويض المادي اشتريت منه هذا الحمار والعربة وغرست الشقاء بالدروب). كان البرق قد أوقف الضرب فتوقفت السحب عن البكاء والنحيب وبدأ نسيم عليل محمّل بعبق زهور السنط وثمار الجوافة يهب من جهة الوادي. وظهر على وجه حميدة الارتياح لأول مرة فابنته مستلقية بجواره فوق العربة بسكينة مثل حورية صغيرة بعد أن غسلتها المياه الربانية القادمة من السماء. الحمار أيضا بدأ نشيطا وهو يسحب العربة في طريق مكسو بالحصى والرمل الذي غسلته مياه المطر فبدأ لامعا كبساط مذهب (جدك يا فطين قال لأمي لما ذهبت اليه

لخطبة أمك. حميدة رجل فحل الا عيبه حاجتين أثنين. متلقي حجج ومباري الغناء. الغناء ما بيأكل عيش ومتلقي الحجج برمي نفسه في المصائب). يضحك ساخرا (الله يرحمك يا عمي في مصيبة أكبر من هذا السد اللعين). التفت الى ابنته التي كان جسدها الملفوف بالشال يتمايل كلحاف على الرحل. (ها يا ست أبوها كأنك غير مصدقة أن أبوك كان فنانا في يوم من الأيام. ليك حق يا بنتي لأنك لم تستمعي ليّ في عز شبابي. لكن ولا يهمك). تتحنح وصدح بصوت مشبع بالحنين (سوقني معاك يا حمام سوقني محل ما الحبيبة قريبة تراعي الغرام. فقارى ولكن غنايا. غنايا بهذا الغمام).

و بعد قليل لمع نور شاحب مثل كشاف ضعفت بطاريته توقف حميدة عن الغناء وقال مخاطبا ابنته فطين ودون أن يلتفت اليها (آها. نحمد الله وصلنا المركز الصحي. قد يصرخ الحكيم بوجه أبيك أو ربما سبنا ولعن اليوم الذي رآنا فيه. لا تستغربي فعله يا فطين. وأنا سوف أكون واجما ومنكسا رأسي وحينما أتكلم سأتوسل اليه قائلا هيا يا دكتور هيا أسرع. فطين بنتي قرصتها عقرب. عليك أن تأتي بالحقنة بأسرع وقت وسبنا وألعن أهلنا واليوم الذي رأيتنا فيه لاحقا فسوف يثور بشدة ويسبني بأقذع الألفاظ ويتهمني بأنني تدخلت في شغله. حين ترين كل ذلك يحدث أمامك يا بنتي لا تفكري أن أباك رجلا جبانا. كلا يا بنتي ليس جبنا مني. سهل جدا أن أستل سكيني التي لا تفارق ذراعي وجخ أذبحه عند عتبة المكتب. ولكن يا بنتي هذا لن يفيد ولن يحل المشكلة. المشكلة في النظام الصحي الذي بعثه الينا بلا أجهزة ولا

أدوية. كأنهم قالوا له أذهب الى أولئك البائسين وتدرّب على رؤية الروح وهي تغادر الجسد المنهك حتي تعود مختصا في كيفية خروج الروح. هذا الدكتور المسكين انما يفعل ذلك ليفش قهره وعجزه فينا. اذن يا بنتي هو ضحية مثلنا لذا فان ذبحه لا يفيد وربما فاقم المشكلة). وكانت العربة وهي مندفعة قد ارتطمدت بالباب الخارجي للمركز الصحي فسقط بدوره على الأرض وتعلق بالعربة من أسفل فسحبه الحمار على الأرض الحجرية لمسافة مسببا صوتا مزعجا كان كافيا ليهب الطبيب ومساعديه مذعورين من النوم. وقفوا أمام الصوت المزعج. حمار يقف بالفناء منكس أذنيه ومرخي عضوه وبوله يسيل جدول يسقي شجرة النيم الواقفة بالجوار. رجل خمسيني مكسور الخاطر يحاول أن يقول شيئا ولكن لسانه وأنفاسه المتسارعة لا تساعده على نطق الحروف والكلمات بصورة سليمة فبدا وكأنه أخرس يتمتم ويحاول أن يتكلم ويعبّر بعينيه وشفتيه ويديه ورجليه. هرول الطبيب نحوه. كشف حميدة الشال عن وجه طفلته وحين سقط الشال عن جسم الطفلة كاشفا بلا شفقة ما فعله القدر. ابتلع الطبيب سبابه ولعناته التي كانت واقفة في طرف لسانه؛ ورفع كفيه المفتوحين لأعلى قلّده مساعداه كما يفعل المصلون خلف الامام في الدعاء. حميدة ممسك برأس الحمار وعيونه منفوخة بالبكاء. الحمار ظل واقفا منكسا أذنيه وعضوه مرتخ بعد أن أفرغ مثانته وشعر بالارتياح. قال الطبيب مواسيا (للأسف الاسعاف متعطل والا كنا أوصلناك والجثمان للبيت). أدار حميدة عنق الحمار وصعد على العربة وترك العنان للحمار؛ فهو يعرف طريق العودة جيدا. واستلقى


بجوار طفلته وهمس في أذنها : (ها . يا فطين ما رأيك لو أغني لك أغنية حتى الطيف رحل خلاني ما طيب لي خاطر).



عمر الصـــــــــايم

نصوص:

دار المنقوط

بين راما والمقهى المنكفئ

رسالة إلى نورا



دار المنقوط

في مسكني سدرة، نخلة شمطاء، وليمونة ضالة. تنسج العناكب حبائلها بين الأشجار، أمزقها كل يوم بوجهي المتجول في الفضاءات. لي كائنات استأنسها جدي الأول الذي لم يكن في أي وقت من الأزمان قردا ساذجا. حلمت به ذات غفوة يحدثني، وهو يحك فراءه المهترئ بأظافره المنغلقة بالطين، له وجنتان تنغرسان في صوف خديه عندما يتحدث: (تعلم لغة الكائنات من حولك، العالم لن ينكشف لك؛ لو أوقفت عقلك على لغة الإنسان) قال لي! قمت من نومي وسروالي منكمش على جثتي المغسولة ببول كريه لإنسان متمدن.

على حوائطي سحالي، جنادب، وضباب جبارون. تنشب معارك على الموارد الشحيحة، في الخريف تكثر الحشرات المتعاركة. تعودت مراقبة كائناتي منذ أن جئت إلى بيتي من مكان ما، وأنا طفل صغير لجدتي التي تعشق قردنتي، تستنشقني بأنف معزة يافعة، تلعق مخاط أنفي بلسان بقرة هرمة. خرجت من حلمي لأحدث الكائنات؛ صرت أعتقد أنها تفهمني، وتبادلني الرد، أغازلها؛ فتطرب، أدللها؛ فتشغب. أضع مسبحتي على السدرة وأحدثها عن قدها الممشوق، أشواكها اليانعة، وطلعها الأحلى من التفاح، أحرك حبات مسبحتي على أغصانها مستمطرا عليها بركات شيخ يتجول بين أضلاعي؛ ألحظ استجابتها، تتمايل في غنج، تستطيل، ثم تزهر في غير أوانها. حتى النخلة أعجزت

رصيفاتها وأثمرت في خريف قاس، حبلت بعراجين من البلح الخالي من النوى.

ولأن نوافذي مشرعة؛ قفزت إلى الداخل قطة رحمها مملوء بالأجنة. رقدت تحت سريري، وأفرغت ثلة من أفراخها. تأملت في ولادتها، أبدت تذمرا وعدوانية. في ذهابي عن الغرفة، وإيابي من شجيراتي لمحتها تفكر في التهام صغارها، شعرت بالفكرة تبرق من تحت سريري، تتدحرج كرة من اللهب من عينيها وتستقر بين مخالبها. القطط الصغيرة تصطك أجنحتها، تحاول أن تحلق فزعة، مخالب الأم تتنمر. بدأت أحدثها؛ لأردعها عن فعلها غير الحيواني (توقفي؛ لست بحاجة لأكلهم، سأحضر لك لحما وعظما، سأحضر لك حماما وسمكا..) لم ترتدع، لم تحول عينيها عن كومة اللحم المتقطقط في براءة. لم تسعفني لغتي في إقناعها، أو أنها قطة صماء، إذ ذاك انسلت عقرب زرقاء ذات شوكة معقوفة، خرجت مسرعة؛ لتلدغ القطة في ردفها المكتنز، هربت كبرق خاطف. انتبذت ركنا أسفل سريري، ثم رأيت ظهرها ينفتق عن قبيلة من العقارب الزرق. صرت أنقل عيني بين القطة وقد تخطفتها الأبدية، وبين العقرب وقد أسلمت جسدها لتأكله صغريات العقارب بشراهة. تركت لي القطة أربعة من العصافير ذوات المخالب، لم أواجه مشكلة في إرضاعهم؛ عنزتي السوداء تجشمت المهمة حتى شبوا عن الحفرة. العنزة الرقطاء تحولت إلى تيس ذات مساء، لم يرتبك العالم؛ بيتي متوازن منذ الأزل، وأنا أنتظم في مساراته، أحدث كائناته عني كبشري منقوط بألوان

مختلفة، أمدد لها أطرافي المبرقعة لتراني كما أنا، وأحيانا أحدثها بألسنة قرد، قرادة دبر، قملة ثياب ضالة.

لا أقر بتجمد شيء ما، الجمادات كائنات حية بطريقة مغايرة، حتى باب الغرفة حي يقبع في جسد الغرفة الكبير، والغرفة حية في جسد البيت الواسع، والبيت في المدينة. الكون يحيا متداخلا، يتجاذب أطراف الحياة. الشئ الوحيد الذي لم يدخل بيتي هو المرآة. لم أفكر إذا ما كانت حية أم لا! لم تعوزني أبدا؛ لأنني أري وجهي في بؤبؤ الطيور، ولمعان أغطية الصراصير. أرى نفسي مبتسما، خفيف الروح، عاشق بلا أنثى، أب وأم، صياد وطريدة جمعهما دغل موحش. وأنا أعبر في مملكتي رأيت بيت عنكبوت بين السدرة والنخلة، يلمع كأنه صيغ للتو من أحلام عنكبوت زاجل. استوقفني وجهي المرسوم في مرآة العناكب، لم أره منذ قرن ونيف! للتو اكتشفت نفسي فهتفت لها: لقد هرمت يا صاح!

تحسست التجاعيد، شيبي المتهالك، بضع أسنان متناثرة على حواف ابتسامتي. هل ستموت قريبا يا صاحبي؟ تنتقل إلى الطرف الآخر من التجاذب؟ ولمن تؤول مملكتي المتوازنة؟ من للضب العجوز، الحرباء الجرباء، والنخلة الشمطاء؟ من لأوراق السدر المتعطنة لألف خريف مضى؟! فزعت، التاع قلبي؛ فهربت إلى مخدعي أرتجف من برد الصيف غير المنضبط بالفصول.

نمت، لبست مخدعي وكوني وغططت في شخير هادر.. عادني جدي، فراؤه ناعم، خلته مصلاة لأبكار المؤمنين، في يده عصا أعلى قبضتها شكل هندسي يشبه المفتاح، لطالما رأيت ما يشبهه في رسومات الأسلاف. غمزني بعصاه، وقال لي (هل أفزعك

مرأى نفسك من الخارج؛ ماذا لو رأيتها من الداخل؟ هل سيرتاح قلبك؟ لماذا لم تحدث كائنات دواخلك، كما فعلت للعالم من حولك؟ ربما حظيت بالخلود والتمجيد!). سكت يرمقني من مفتاح العصا، ثم يحك بها أنفه المنبطحة بكبرياء (لم تخبرني أن بداخلي كائنات يقتلها الصمت، لم تحطني علما أن الضب على الجدار ليس هو الضب نفسه قبل عشرين سنة) قبل أن أكمل حديثي قاطعني (ولماذا أخبرك أين كشوفاتك يا قردي الأغلف؟ أين روحك التي استلبتها من بين ساقيك؟) بدأ يسمعني ألفاظ خادشة لحياء كائناتي، ألفاظ أعياها الانتظام في موسيقى مملكتي. فتحت عيني لأبصره؛ لأريه أي قرد أنا! لم أجده. كنت مستلقيا على ظهري. بطني وصدري منفتحان، بوابتهما صدئة، تصدر أزيزا لحظة جرجرتها للانفتاح.

رفعت رأسي؛ لأرى أحشائي الحبيسة منذ فجر التاريخ، هالني أنها غير منقوطة كسائر جسدي من الخارج! قلبي قمرية علقت في شراك، واهن الدقات ينبض، متجعد وحوله شحمة صفراء. رئتاي منفرجتان بلا مبالاة، أبصرتهما رئتي نعجة معلقتين في جزارة. كبدي.. آه من كبدي! تتخلله خطوط داكنة ودمامل متحجرة. ظلت عيناي تجولان في داخلي، ظللت أشهد كائناته مسيجة بالصمت، تدور حول نفسها. رفعت بصري نحو نافذة الجدار، رأيت شجيراتي تتقافز من أمكنتها، تصفق بأجنحتها، حاملة حشراتها، والأعشاش. أجلت بصري في الجدار، عنكبوت وضب يمرحان، أغمضت عيني لأرى نفسي بنقاطي، بشرتي،

وأحشائي المفتوحة لسقف السماء، وجهي لم يزل مبتسما، ومملكتي تزفني لعمق توازنها.

بين راما والمقهى المنكفئ

سبعةٌ كُنَّا مهووسين بالدُّخانِ وراما! نحقنُ الذاكرة بالترهات والأورام العاطفية؛ فيما كُنَّا نحَاولُ استعدالها وسط حالة من الانكفاء العام. نشبَ بيننا حديثٌ، ونحن نَعُضُّ على أثداءِ النَّارجيلاتِ الأمهات، ثُمَّ ننفثُ دخانَها كطفل سَئِمَ اللبن.

قالَ قاسمَ ـ غفلَ الغبشُ عنِ المدينة؛ فَتوَغل الاسمنت فِي السَّماء.

ضحكَ موسى الذي كان يرى الأسمنت أجمل مِن السماء وقال:

ـ كوستي أنشاها الإنجليز، خواجة كوستا كان صاحب الفضل فِي اكتشاف الأراضي الجديدة!

ـ ولكن من بعده سكنها عرب البادية، وزرعوا البحر.

قال أحمد

ـ أكرهُ المدن التي أحس فيها بنادق الأتراك والإنجليز.

ـ هذا يعني أنَّك تُحبُّ أمدرمان.

ـ وهل ينفعُ أهل أمبَدة حبك؟

غرغر.. أوف.. أوف! نفثتُ دخان الشيشة، هذا الذي يسكنُ غُرَفَ قلبي الأربعة. خرجَ ليرسمَ راما طفلة! تَشَكَّلَتْ راما وَهِيَ طفلة تهرولُ فِي أَزِقَّة القاهرة خلف بائع الفجل، والترمس. عادتْ من الحضانة لبيتهم فِي الست زينب، فوجدتْ أباها يضربُ أُمَّها ويشدُّها من شَعْرِها للخارج، بعدها لَمْ تعرف شيئاً سوى فرحتها بركوب الطائرة. هبطتْ على مقربة مِن خط الاستواء. احتوتها

أمدرمان، حملتها فِي (أبوروف، وبيت المال). يرى الأمدرمانيون راما قادمة منِ النيلِ مغسولةَ الجدائلِ. تفرشُ جدائلها منِ النيل حَتَّى سوق الشَجرة. يلهو الأطفالُ فوقَ ضفائرها، يأكلونَ حلاوة قطن، يلعبون عرِس عرِس، ويندسون بَيْنَ خصلاتها باحثين عَنِ التَّمْرِ ،القمرِ ،والَبحرِ. تَخلقُ أسواراً من الطمأنينة حَوْل الأطفال؛ فينامون على وعد منِ أحلامها الرائعة، معها يعيشون أسطورة الطفولة، وفاطمةً السَمحة. لا يعرفون أنَّ راما كائن الحزن تحتضنُ الرِّجال فيِ الشَّوارع بحثاً عن أبيها، وحيناً منِ الإعياءِ تحملُ جدائلها، تبتسمُ للأطفالِ، ثُمَّ تلوذُ إلِى النيلِ باكيةً.

قال قاسم

- ضَعْ جمرة على الشيشة.

وسط دهشة الحضور حملتُ الجمرة بيدي، ووضعتُها لمزيدٍ مِن الدُّخان؛ مَزيداً من راما.

للمقهى رائحةٌ نَفَّاذة، خليطٌ من التباكو والزنجبيل، ولنا حَقٌّ إهدار النهار بين رِكَامه، التراشقُ بالثقافة، عليه نُحاولُ رَسْمَ ملامح الجانب الآخرَ للعَالمِ. طلاءُ المناضد نَكتبُ عليه أسماء مَنْ نُجَازفُ من المحبوبات، رقية، آمنة بائعة الشاي. إعياءٌ ما أصابنا؛ فجلسنا على أثاثه المنكفئ لنكتبَ في لحظة واحدة (راما). كنا جميعاً نُحبُّها! هِي مَنْ وَظَفَّتْ أجهزة العشق المعطوبة. ألقتْ بِها إلينا ليلة شَاتية كَيما لا نعرفُ محبوبة سواها. لا نعرفُ من أين تأتى، ولا فِي أي المُدُن تغيبُ، حتّامَ نلقاها تكون فِي دواخلنا ثَاوية. كنتُ أفهمُ احتياجها للأب؛ فوهبتُها هذا الاحساس. وحدي كنتُ أحسبها تحبني. وحدها كانتْ تعلم أَنَّها تحبُّ الجميع! ابتلعَ موسى

نَفَسَاً طويلاً مِن النارجيلة، رَشَفَ مِخَاطَاً دَنَا من شاربهِ؛ فَتَنَحينا لصوتِه الذي يُدَاهمنا كالمقذوفات.

قال ـ لي الله من ساقَي راما! سأدعوها يوماً لهذا المقهى المنكفئ، حَتَّى إِذا جلستِ منكفئةً؛ اعتدلتُ لأرى قَوس حبها.

موسى محسوبٌ علينا؛ رغم أَنَّه لا يشبهنا، يحيا بعاقلة التُّركيّة السابقة، يستلذُّ بإدخال الكلمات الإنجليزية في حواره، كان ورماً في المقهى لم نستطع استئصاله، يتحركُ من منضدة إلى أخرى، يُعلنُ على رؤوس النارجيلات أنّه مثقفٌ ومفكرٌ بالغ الوعورة. كُلُّ الأمكنة عنده خانة؛ مدرسخانة، إجزخانة، وسلخانة، فأطلقنا عليه الأديبخانة، ذبابةٌ خضراء عنيدة لم تكن مثله في التصاقه بنا، وما أغظانا شئ كفهمه المَغْلُوط لراما، يُقسِّمُها كالقَصَّاب، أفَخَاذ، ساقين، وصدر، ويُجزّئ جمالها الذي كُنَّا لا نبصرُه مُجَزَّأً، سكتنا على حديثه النتن، حَتَّى قَاَل قاسم

ـ كارثة أنْ يكونَ المثقف أديبخانة، ممتلئ بقذارة ما أفرزته الإنسانية؛ أزمة فكر حقيقي!

قال عارف

ـ ياه.. ما أصدق الفيتوري!

(أدنى ما فينا قد يعلونا

يا ياقوت فكُن الأدنى تَكُنْ الأعلى فينا)

لم يعبأ الأديبخانة بكلامنا؛ وقال

ـ سأصدر قصيدخانة أُعَبِّئُ فيها غرائزي الحسية، واستنفرُ مقدراتي الأورقازمية

غرغر... أوف .. أوف

نفثتُ دخان الشيشة واكتفيتُ بجزء منه للأورطة، خرج مِن صدرِي مُشَكِّلَاً راما، الآن تبلغ سن الفتيات رأيتُها ترحلُ مِن أمدرمان إلى كوستي مع زوج أمها. في الحلة الجديدة بدأتْ حلمة صدرها تتحجر، ثُمَّ تَكَوَّر النهدُ مُعْلِنَاً سُموق حسناء. يجمعُ ساكنو الحلة الجديدة على أَنَّ والدها مصَريّ، وأمها يمنيّة، وتارة يقولون بأنها أرترية من العفر. حين كانتْ تخرجُ إلى المدرسة تعوي أبواق القذرين من أصحاب السيارات، يحاولون اصطيادها رغبةً فِي طمس معالمها الناتئة؛ لتكونَ مستويةً، أو رخوةً؛ توطئة لزرعها في بيوت الليل شجرةً تثمرُ كُلّ يوم جنيهات، لم تكن القذارة كافية لتلويث راما، وسحق البراءة السماويّة فيها؛ يئسوا منها لما وجدوها على قلوبنا مستوية. في الصباح حين يغسل المطر شوارع كوستي تخرج راما ناشرةً شذاها على بائعات الفسيخ، مرتسمةً على الجدران العارية مِن الطلاء. يلقاها الأطفالُ بالطين فتبني معهم المدن التي لا تبكي، عرائس وزوجات لا ينتظرن الأزواج المرهقين.
لم تزل راما مبتسمة حين سمعتُ صياح موسى
- هات جمرة؛ النار خمدت.
صوتُهُ المقذوف هَزَّ مقعدي المنكفئ (يا راما أيُّ إعصار ألقى بك خارج مقياس الرسم، عبأك بالفجيعة، ثم دسني بين خصلاتك آآه) قلت . فلم يقل أحد بعدي.
ذات يوم قالت بأنها مستهدفة. وبأنَّ ثَمَّة قوة غيبية تجعلها دائماً مُسَيَّرَة. ودَدْتُ لو احتضنها فتستكين إلى صدري، وتبلل قميصي بدموعها. قلتُ ذلك في المنضدة، فقالوا بصوت واحد (مزيداً مِن النار.. مزيداً مِن الدخان) نظرتُ إلى المناضد فوجدتُ

رواد المقهى قد خرجوا، إلاّ من رجل ضاعتْ عليه نَوْمَة فِي البيت؛ فنام وشخيره أعلى من أزيزِ النارجيلات.

قال عاطف

ـ لنا الله نحن جيل ثقافة الهامش.

فأتَمَّ عَليٌ

ـ جيل المحرقة.. (كح كح كح) وهل نعيش هكذا طويلاً؟

– الأعمار بيد الله، ليس ثمة مناص.

– أعني إمكانية الحياة الحقيقة.

– كيف؛ وأنت ثاوٍ فِي مقهى مقلوب؟

– صحيح الآن نحنُ بين راما والمقهى والمنكفئ.. أووف..

قال الأديبخانة

– أنتم تحرثون السَّماء، الواقع يحتاج إلى بعضِ الحركيّة. أنا أحبُّ الانكفاء وكل قصائدي منكفئة على ذاتي.

(إنْ لم تكن ذئباً أكلتك الخراف؛ أنظر ميكافيليّة الأشياء واللحظة) حينما بلغ بها السأم حد الانعزال، ويئستْ منَّا قالتْ ذلك. استفزَّنِي الأديبخانة، مُنَظِّر الانتهازية. قررْتُ الدخَول في المعركة؛ تحديد هوية المكان واللحظة. هذا الأديبخانة يجلسُ معنا بإيعاز من كل إحباط التاريخ وانزلاقاته، لهذا نراه حلزونياً يَتَشَكَّلُ حسب المقاعد.

قلتُ ـ لا لن نستكين لهذا الشكل علينا تغييره.

هتف الخمسةُ، عَدَا موسى

ـ كيف؟

– نبدأ من هنا!

– من أين؟

– مِن هذا المقهى، علينا وضعه فِي صورتِه الصحيحة، استعدال الأثاثَ المنكفئ؛ لنجلسَ كما البشر. العرقُ يَصَبُّ علينا مِن الفضاء، الصمتُ يستكينُ فِي حواشي النارجيلات، غرغرةَ نارجيلة الأديبخانة تَحَوَّلَتْ إلِى عويل. اتفقنا على ترتيب المقهى؛ لنخرجَ منه إلِى راما رافعي الرؤوسِ غير منكفئين، ولسوف تلقانا بالجدائلِ السُّود، نتمددُ عليها وننامُ كما الأطفال؛ فتضحكُ الفتاة، وتضحكُ الأشجارِ اليابسة، تضحكُ الشوارعُ المخبأةُ بَيْنَ الجُدُرِ الهزيلة، ونضحكُ نحنُ حَتَّى تغادر الكُتبُ الصفراء رفوف المكتبات.

قمتُ على شَكْلِ الاعتدال، وقفتُ على رجلين ـ فقط ـ ! قاموا جميعاً معتدلين عدا الأديبخانة نهضَ مُنْكَفئاً تاركاً مقعده منكفئاً.
حين خرج كنا قد جعلنا المقهى معتدلاً، وقفنا رافعي الرؤوس نضحك.. ونضحك، بعدها تحركنا إلى الباب المنكفئ، وقبل أنْ نصلحه دخل الأديبخانة ومعه رجال غريبو السحنة، يحملون هراوات مِن عظام الديناصورات، على وجوهم أقنعة مِن جلود الأفاعي. كانوا كُثُر وجاهزين لخوض أية معركة. ضحكَ موسى حتى اختلطت شفتاه بعينيه. فاجأنا الرجالُ بِالهراوات، هجموا علينا، ضَرَبُونَا، وقَيَّدُونَا، سألتُ أحدهم

– ما التهمة الموجهة إلينا؟

ضَحكَ لا كما الضحك الذي نُؤَدِّيه، ضَحْكَة مِن عهد قديم، عليها غبار الأزمنة السابقة، وأتربة الصحارى، وقال

– أنتم متهمون بحب راما وتغيير الانكفاء مع سبق الإصرار والترصد.

عصبوا أَعْيُنَنَا، واقتادونا، صحنا فيهم
- إلى أين؟
ردَّ الرجل ذو الصوت الغباريّ
- إلى السلخانة.
فعلها الأديبخانة (الوغد) وزَجَّ بِنَا إِلى السلخانة فِي محاولةٍ للظفرِ براما.
(هل نستعيدك رغم تداخل التاريخ؟ نسافر عبر ضفائرك، ونعرجُ إلى حيثُ نلقى الأمان؟ الآن نحتاجُك يا راما.. اللحظة يا راما نَحتاجُك)
كنتُ أُحَدِّثُ نفسي، وحين فتحتُ عيني رأيتُ السلخانة مستوية فِي مكان ما، أسفل السماء وأعلى الأرض، لكنه يأخذ مناخ الصحراء، غرفة مستطيلة وعريضة مسقوفة بالأسمنت، من سقفها تتدلى المشانق ذوات الغلظة، وعلى الجدار تذكارات لبعض الذين زاروا السلخانة، عمرو بن عبيد، عباس بن فرناس. الجاحظ رسم صورته على الجدار ونَحَتَ عينيه بِشَكْلٍ مخيف! تلفتُ فرأيتُ خزانة كبيرة كُتِبَ عليها خَزَانة رؤوس العُصَاة. أوَّل رأس كان لواصل بن عطاء، كيف تحصلوا عليه؟ رأس الحلاج أيضاً! لم أُصَدِّق نفسي حين رأيت رأس (.........) أعرفه جَيِّداً. ثَمَّة رؤوس لرجال لا أعرف أسماءَهم تَمَّ سلخهم قبل آلاف السنين في سلخانة قديمةٍ، سدنتها من كُلِّ الأجيال. تحركنا نحو الخزانة وحجزنا رف لرؤوسنا، طلبنا من السدنة أنْ يضعوا النارجيلة أمام رأس كُلٍّ منَّا، تهيأنا للمصير المحتوم، فقط كنتُ أحب معرفة الطريقة التي تعمل بها السلخانة؛ فسألتُ سادناً يبدو أنَّه مُسَخَّرٌ لسذاجته

- كيف يتم الذبح والسلخ عندكم ؟
أجابني
- حسب جيل المذبوحين، فمثلا هناك أجيال بدائية استعملنا معها السكاكين والأشواك.
- جيلنا في زمن الإلكترونيات.
- أعتقد أنّه سيتم ذبحكم وسلخكم عن طريق الصّعق الالكتروني.
اطمأنّ قلبي عن طريق الصّعق لن يطول الألم. غداً سينفذون ذبحنا، والوقت في السلخانة يُحدد بعدد المذبوحين. ترجلنا عن ذاكرة الحياة، إلاّها صمدتٌ على جدار الذاكرة، بها نقاوم رائحة الموت، نتأكدُ منَ أنَّنَا أحياء، ولكن تحاصرنا دماء تاريخية وسلخانة مُتَجَذِّرَة (يا كمَ تبعدين يا راما ونحنُ محاصرون بانتظار الرحيل الأبدي! تُرَى هل يظفر بك الأديبخانة؛ فيصاب الأطفال بالشيب، الرجال بالعنة، وتصاب الكلاب بالعته؟ أم تبحثين عَن أبيك فِي هياكل الرجال على الأرصفة؟ أيُّ حزن ينتظرنا جميعاً؟) مِن استيائي ضربتُ الجدار برأسي. تلفتُ لأرًى سدنة السلخانة وقَد ناموا. اهتزَّ السقف فالتفتنا جميعا نحوه، ثَمَّة قوة ترفعُ السقفَ، وتهدُّ جدار السلخانة. شعرنا ببريق الحياة؛ فهناك من يحاول إنقاذنا! تهدَّم السقفُ وبعد برهة خرجنا؛ لنرى راما.. راما المخلصة! رأسها في السماء وجدائلها في الأرض، عيناها سحابتان، صدرها عال تمر السحابات بين نهديها. بينما كان السدنة يتساقطون أمسكًنا بجدائلها وانزلقنا، انزلقنا حتى وصلنا الأرض. أخذت ضفائر راما في الانسحاب عَنَّا رويداً رويداً، تاركة شعيرات في الشوارع للأديبخانة يلهثُ خلفها. كوستي وجدناها

مغسولة بالمطر ودموع أهالينا. الأطفال يلعبون بالطين، بائع الترمس ينفخ صافرته؛ يغازل جيوب الآباء المفلسين. بعد شهور صدّقنا حكاية النجاة، نجاتنا مِن السلخانة. حملنا معنا رؤوس المذبوحين إلي المدينة ليصدّق أهَلها أسطورتنا بين راما والمقهى والمنكفئ. صرنا ندير الحديث عن راما مِن منازلنا - إنْ وُجِدَتْ- وبحثنا عن المخلصة بين الأزقة الواهنةِ والشوارع الخربةَ فلم نجدها. قمنا بتجنيد كل الأطفال للبحث عنها بأوصافها المعروفة للأشجار والبحار. فشلنا في العثور على أثر ضفائرها. كانتْ قد غادرتنا إلِى المدن الأخرى ذوات الرشح الدموي. بعض العرب الرحل قالَوا أنهم رأوها في صحراء العتمور غائصة في الرمال، والمسافرين إلي الحج قالوا برؤيتها في صحراء نجد. حينما كُنَّا نبحثُ عنها كانتْ الصحارى تحتويها والأنهار تغسلُ جدائلها. يسألُنا عنها الأطفال نقولُ عنها: عائدة! هكذا حدثتنا قبل رحيلها، عائدة! فقط حين يحلم الأطفال.

رسالة إلى نورا

أهذه صورتك؟! لا تمنح البروفايل سوى مزيد من البؤس. تغيّب صورتك الحقيقية من الذاكرة، أين ذاك البريق في عينيك؟! كيف يا ذات النونات امتلأتْ أشداقُك شَحْمَاً واختفتْ وجنتاك؟ يا كم أرقْتُ زَهْوِي عند قدميك! أنا لا أُعاتبُك يا نورا، كيف وقد انصرمتِ الأعوامُ على حُبِّنا؟! خمسة عشر عاماً، خاطت فَمِي ومسام جلَدي، أوسعتني تبريحاً، وأغرقتني بكاءً. سأحكي لكِ عَمَّا أراه الآن، فأنتِ عاجزة عَنْ شَحْنِ أوردتي بالشبق، عاجزةَ عن إهدار كرامتي بنَظرة من عينيك، سأُمُدُّ ساقيّ منْ هنا إلى السَّمَاء، وأمص قهوتي كما تعلَمين عن اندياح مَصَّاتِي، قَلتُ إنَّني لن أغرقَ في مفازة مُرَاوغَاتك؛ إذن سأفسر لك ما حدث.

كنت وفَياً لصداقَتي بتجاني الذي تُسَمِّينَه آنذاك حبيباً، التقينا في هموم مشتركة، عرَّفَني بك، امتدحني ببروده المقتضب، صرنا نلتقي كالعادة وأنت تبسمين لي ابتسامة ملئها الحفز والإغواء. أعرف أنه زكي أيضاً، وهذه تأكدت منها حين غادر محرقتك بلطف. تحكين لي كل يوم عن مشاكلك الهامشية معه، تستفتينني في صغائر الشجارات، وأنا يا مصدق! أقدم لك الاستشارات. ثم اكتشفتُ تدريجياً أَنَّ فِي عينيك لغة خفية، شيفرة تسوقني إليها مكبلاً، نظراتك نحو تجاني خاوية من قوي الجذب السرية، أحكمتِ نسج الفخ، وأمعنتِ في الغواية، كل يوم أسقط؛ وأسقط، ونظراتَ عينيك تطبقان علَى قلبي، حتى جاء يوم البوح العظيم.

وأنت تلوحين لي بمؤخرتك على درج المكتبة، ترفرفُ طرحتُك كعلمٍ للحريةِ، ثم تتكئين كملكة تنظر إلى شعبها الجائع، في خوف وجوع قلت لكِ:

– أحبك .. أحبك يا نورا .

ألقمتيني خجلاً وقلت:

– تجاني .. تجاني .. ووب يا مهيد!

لو كان الحب جبلاً في تلك اللحظة لوزعته على المارة، لأعطيتُ سُعَاة الجامعة وخفراءها ما يسد شبق زوجاتهم المسنات. وخزني لفظُ تجاني، صديقي البارد التليد، وفرحتُ بأنك معي، أمسكتُ بيديك، كانتا غير متعرقتين مثلما قرأتُ عن الحب، قلتُ أنَّك يوماً ما ستتعرقين، وقد فعلت مشكورة، هبطنا سلم المكتبة، وتجاني في الأسفل عارف بما يحدثُ، مُتَكَهِّنٌ بما سيحدثُ.

أجلستُه في الكافتيريا نرتشفُ الشاي السادة، وانسحبت- أنت- في حياء، تاركةً شابين يصطرعان على صحنك الدافئ، شَرحتُ لتجاني ما حَدَثَ، حَدَّثْتُه عن مشاعري تجاهك، وأَنَّكُما غير متناسبين. أدهشني أنه ابتسم في وجهي، غلّفك في مزحة، ومنحك لِي، ألم أقل لك أنه ذكي؟! تركنا الحب يفعل بنا أفاعليهً، وأنزلنا جثاميننا للحياة لتسكب عليها ماء صاخباً، أنت جمرة حصنها الماء، وأنا فرس مضماره الريح، أريتُك مِنِّى الشغف والجنون، وأريتيني هوسك الداخلي.

عرفتُ أَنَّني أُحبُّك في خلاء، من خلال وقائع انتحار صديق شول. المحب الأطَول قَامةَ، ذي البشرة الفاقعة، أشهب إلا قليلاً، علمنا برسالته التي تركها بعد انتحاره، أوقع بالمسئولية على أهل

محبوبته، لأنهم اعترضوا زواجه منها، تلك القصيرة متواضعة الجمال، قالوا إنَّ أصولَه العرقية لا تؤهله لذلك، أبوه جنوبي مسلم يعمل محاضراً في جامعة غربية، وأمه من يوغسلافيا . عَلَّقَ رقبته على حبل، مخلفاً رسالة لا تشبه رسالتي هذه. فور سماعك خبر موته نظرتِ إلى وجهي كأَنَّك تُعيدِين اكتشافي وبعد يومين قلت لي:

– ناس بيتنا يا مهيد سمعوا بخبر علاقتنا .

– جميلّ كدا قَصَّرُوا علينا المشوار .

– أنت ما عارف حاجة، ديل ما بيخلونا نتزوج خاآلص .

بدهشة سألتك

– ليه؟!

ولم يفتح الحُبُّ عليك بكلمة، الأيام قالت كل شيء أعدتُ اكتشاف ذاتي، ما كنتُ أحتاج إلى حفريًات .

أنا مهيد حيدر، أجعد الشعر، داكن البشرة، عسلي العينين، أرتدي تاريخاً حفّه الصراع، جدي لأبي جاء من الجبال القصية جندياً في قوة دفاع السودان، حارب الطليان في أسمرا، وليبيا أجدادي لأمي جنود تاريخيين في مملكة الفونج، استقر بهم التجوال في أربجي، بذل جدي العسكري جهداً في تعليم أبي حتى تخصص في طب الأطفال، تخرجتُ أمي من القانون وهي الآن من أشهر المدافعات عن حقوق الإنسان، شكلي غير مستقبح إن لم أكن وسيماً، إذن كيف يرفضني أهلُك؟ وكيف تجيبينني أنت؟!. الفرق بيني وبينك غير مرئي حتى فيَ الدرجة اللونية، وقياساً على واقعك فالأجدر أن يرفضك أهلي فمن أنت؟

نورا حسب الرسول، تسكن قرية نائية على النيل، أبوها مزارع بسيط، وفي أوقات أخرى مُرَبِّي غنم، أُمُّها قعيدة المنزل، لم تنل حظاً من التعليم، أشقاؤها سائقو لواري، لست بيضاء ولا بضة، إن لم تكوني بطة تماماً، ترتدين نعلاً من الرتابة والضَّجَرِ، خرجتِ عن جَرْسك وما عدت حتى الآن.

أعترَفُ أَنَّ الألمَ سحقني، وأحالني بدره على وجهك. أترين لو أن الزوج المرتقب كان تجاني، أسيواجهه ذووك بذات الرفض؟ قبل دخول الجامعة ما كنت اعرف أني مختلف، ولا كيف يراني الآخر. قبل أَنْ تنصبي لِي الفِخَاخ كُنْتُ وديعاً لا أفهم أن ثمة شيء مسكوت عنه، شيء يخصني يتعاطاه الآخرون خلف ظهري، عرفتُ كُلَّ ذلك وأنا بين يديك، وصدمتني المعرفة لم تكتف بأَنْ تكوني صنمي لشهر أو شهرين، نصبتِ عليّ سُرادق العزَاء أعواماً حسوماً، سنوات خمس وأنا أتضورَ جوعاً، أفتش عن قبول محتمل، وأنت تتلاعبين بيّ كدمية من قصب صنعها أبوك ثم قذف بها إلى المرعي.

نعم .. كنت أضربك أحياناً، وأبكي عند قدميك مرات كثيرة، في لحظات تمنيت الهروب بك إلى غابة أو صحراء بعيدة. بكاؤك وإستنطاق نهديك لهما نفس المتعة، قُبلاتك وصفع وجهك لهما ذات المذاق، حدث كل هذا لأنني أحببتك بصدق، وأنت جردتينى من ذاتي التي تسكنني. لست مندهشاً لعودتك إلى صفعاتي وبكائي غب كل شجار وأنت مملوءة بالشبق، باحثة عن لعبتك الممتعة، إذَا أخشنتُ عليك أنعمت عليّ، وإذا تلطفتُ بك ركبتِ هامتي، سنوات خمس أرهقنا فيها البكاء، وأمتعنا البيوت النائية.

حرضني صديقي العارف بتاكتيك البنات، أن أفعل بك ما يجعلك في زمرة النساء، وسوس لي أنه في حال فقدك للبكارة ستكونين لي لا محالة. طرحت عليك الفكرة، ولا أعرف الآن لماذا وافقت دون تردد، ولم أسألك ساعتها، خرجنا لنفعلها، وعدنا كما ذهبنا. لم استطع إلجامك، كبح جماحي كان أهون، أعلم لو أنني فعلتها فستكونين لي بالتدليس الإجتماعي، ولكن لن تكون لي نفسي، سأبحث عن مهيد حيدر فلا أجده، وسأقذف بحبي إلى معركة لا علاقة له بها ولا قُبلة. فكرت أن ألحق بالشجاع صديق شول، ولكن أوتادي في الحياة كانت أعمق، كتبت لك رسالة لتقرئيها بعد موتي أسميتها وثيقة الموت، ثم أحرقتها أمامك، لطمتك على خدك، وجثوت أقُبل قدميك.

صرت خليطاً من الدموع والفشل، لم أعر الدارسة قلبي وعقلي، فأعدتُ العام، والعام الذي يليه، لم تدخلي معي في حالة الإختلال، حافظتِ على نقاء وجهك ونتيجتك، فتركتي الجامعة قبلي، وتركتيني أرَشف دناني المحطمة، تعرفين بقية القصة، زواجك الفجائي، نزولاً عند رغبة الأسرة — كما أعلنت– وجنوني العارم تحت ضربات العذاب. لن أحكي لكِ كيف مضت بي الحياة، فهذا سرد لا يعنيك، فقط أنظري لي من هَنا، من ذاتي، لتبصري هل كان قلبي مخادعاً؟ وهل كنت أستحق زراية الحياة؟ وأين؟ في الحب! الآن وقد علمت أن الحياة بدونك ممكنة، الأرض أكثر اتساعاً، والسماء لا تسقط على رأسي، الآن أكتب لك هذه الرسالة بعد أن رأيت صدفة صورتك الشاحبة، فإذا ضغطت على أرسل، وجاءتك رسالتي إذهبي فأنا الطليق.... آه! عفواً نسيت أن أكتب

لكل أسمي للمرة الأخيرة، فلربما اعتراك الزهايمر، فصورتك لا توحي بشيء أعرفه.

المحب سابقاً الحر دوماً.

مهيد حيدر

سارة الجـــــــــــاك

نصوص:

جرح

سخرية

النحات



جرح

أمٌّ مكلومة تحمل قلبها النازف بين كفيها، تبحث عن أبنائها، خطاها مثقلة، ملامحها باهتة، وقفت أمام شيخ كبير، بادرته بالتحية ردها، أعادته نبرة صوتها لزمان سحيق، فرفع رأسه بعد أن كان مطرقاً، تفرس في قسماتها، جبهة أبية، عينان نافذتان، أنف أشم، وشفاة ممتلئة بالحياة والحياء، انتبه ثم، باغتها بسؤاله:

- أنت أم رماة الحدق؟

قالت:

- نعم
- أين بنيك
- بني نحروا قلبي كما ترى ثم تفرقوا في الأنحاء.
- لماذا حدث ذلك
- لأنهم ضيعوا الحكمة في صيغة الجمع نفعل، وعبدوا ضلالة الفرد بصيغة افعل، فصار كل منهم أشجع من أخيه وأفهم منه، بحق كان أو بباطل
- ماذا تفعلين الأن؟
- أبحث عنهم لأجمعهم على قلبي الذي يحمل صيغة جمعهم، فأحقن دماءهم، ويواصلوا مسيرة اجدادهم في الحب والحياة بالتعمير.

ابتسم الرجل بخبث ومضى، يخبر السلطان بأن امراة خرفة تريد جمع أبنائها، بعد أن بذلنا الجهد لتفريقهم، في طريقه قابل أخرى. نظرت إليه بصقت بإزدراء في وجهه وقالت:

- سب عليك الشوم، البوم

مسح بصاقها بيده غسلها من ماء السبيل، ضحك عليه النبي الخدر وقال له :

- ياحافر حفرة السوء وسع مراقدك فيها .

لسعته كلمات الخدر ومضى مهرولاً، وصل إلى السلطان دخل عليه دون استئذان، أخبرة بخير أم رماة الحدق التي أتت لتجمع ابناءها الذين فرقوهم، ابتسم الشيطان.

أقيمت حفلة كبيرة في وسط المدينة، اجتمع كل الناس، وبالطبع أتت الأم التي تبحث عن أبنائها تحمل قلبها النازف بين كفيها، لم تجدهم لكن وجدت مسوخهم، يلبسون الصديريات ويحملون السيوف، تراقصهم فتياتهم المتلفحات بالفراد والقرمصيص، يتبادلون حركة الإبل مع إخوانهم من الغرب برقصة تعتمد في إيقاعها علي سير البقر، لا يختلفون عنهم في الأزياء كثيراُ ولا الملامح تتراوح بينهم راقصات بجرجارهن الأسود الزاهي وراقصين بالجلباب الأبيض، تداخلت عليها ملامحهم ملابسهم سيوفهم ورقصاتهم، لم يخفق قلب أحدهم لما مرت من أمامهم، فصاحت أوقفوا الطبول والرقص، سكن كل متحرك في ذاك المكان الفسيح، أراد أن يهجم عليها القواد الذي وجدها في مدخل المدينة، نهره شيطانه أن قف.

قلبها ينزف وخطواتها ثقيلة وقفت أمام البجاوي صاحب الدرقة والسيف نظرت في عينيه مليا وقالت:- ألم أرضعك ضوء شمس التاكا مع الحليب؟

ثم التفتت إلى صاحبات الجرجار الأسود: ألم أحفظكن تاريخ أماني شيختو وانتن تحبون في معابدها، وانت ياحمي ظهري من وحوش الصحراء اضارية إلم أعيذك بتعاويذ الجبال التسع وتسعون.

أين بقية إخوتكم ولماذا ترقصون ؟ هل لحصاد ؟ أم لتنصيب ملك عادل، ضحكت التي بصقت في وجه القواد

وقالت له:

- الليلة جاتكم

مر نبي الله الخدر علي الجمع وقال لهم اجمعوا إخوتكم، عالجوا جرح أمكم واطردوا الشيطان. أقصد السلطان من بينكم، أعيدوا صيغة الجمع أو احيوها.

سخرية

لسان و شفتان يرددون لحن الجحيم بصوت فحيحي.

أذنان ترقصان رقصة الألم، على اللحن الفحيحي، الذي يتردد على اللسان والشفتان.

أنف يسنشق عطن جثث الموتى ورائحة الدم.

عينان جاحظتان ترسلان دمعاً أحمر، أسفاً وندماً تمسحه يدان.

يحيطهم وجه نجمي.

اليدان مغموستان في بحر دماء.

كلهم داخل النقطة التي تتقاطع فيها أقطار مثلث برمودة.

جميعهم يتلاومون ويسبون التابوت، التابوت على الشاطئ ضحك ضحكته الأخيرة، قبل أن تتفكك أجزاؤه،راسمة نجمة خماسية بريئة من نجمتهم، سخرت منهم النجمة قبل صعودها إلى السماء، وأختارت مكاناً يمكنها من مراقبتهم، أصبحت كل مساء تأتي وتضحك على ما آلوا إليه ناقمة عليهم...

سألتها صديقاتها النجمات خماسيات الرووس، اللائي رحبن بها وأحطنها برعايتهن، عن تاريخ مولدها ومكانه، وعن إختيارها لهذا البرج بالذات، دوناً عن بقية بروج السماء لتسكن فيه، حكت لهم حكايتها وعن مكان وتاريخ ميلادها قالت:

- كنت الشجرة التي قُطعت لأجل أخذ أخشابي لصناعة تابوت، حزنت لمآلي بين يديه، فأنا أعرف كل أسراره

وأحلامه وأشواقه الشريرة، التي ينوي القيام بها، أنا التي ظللت والده وصديقي، الذي زرعني ورعاني ورباني مذ كان يافعاً، وكنت ما أزال نبتة ...

أهداه إياي معلمه النجار العجوز، قال له حينها :

- الأشجار كريمة تمنحنا أخشابها لننتفع بها، لكنها تمسك روحها، ولا تهبك إياها، فكن رحيماً على الأخشاب حتى لا تؤذِ روح الأشجار...

وجوه نجمية سداسية، ذات ملامح باهتة؛ تؤدي حركات غريبة؛ يتتابع ظهورها برتابة؛ علي إيقاع فحيحي كئيب...

مات النجار العجوز؛ عكف هو على شجرته؛ يرعاها بالسقيا والنظافة والتشذيب؛ ويرعى مهنته بالتطوير والتعلم والممارسة، حتي اشتد عوده وعودها، علّم تحت ظلها كثير من النجاريين حديثي الخبرة، كان ابنه من أمهر تلامذته، لكنه قليل الكلام؛ ثاقب النظرات، قائم الأنف، يحب الوحدة؛ وقلما يخالط زملائه...

في يوم من الأيام؛ وعندما كان الأب يعلمهم؛ بعض الخطوات للتعامل مع الأخشاب، حكى لهم عن العناية بها قبل العمل عليها، ابتسمت الشجرة من وفاء صديقها، وتذكرت العجوز الذي أهداها للنجار الأب، تواصلت عملية التعلم، إلا أن الولد كان يتعامل بصلف مع الأخشاب، و يعتبرها من الجمادات الصلدة، ويتحكم في تشكيلها كما يحب، لكن رغم كل الذي تعلمه من والده؛ إلا أن بعض التشكيلات استعصت عليه، فسال

والده وهو مكفهر الوجه، عن معاندة الأخشاب له، وعدم انصياعها لأدواته ليشكلها كما يتمنى...

كانت الشمس قد جلست على عرشها في كبد السماء، واشتد الحر على النجار وتلامذته، فوهبهم فسحة من الوقت، ليتسامروا مع بعضهم، ويشربوا كوباً من الشاي، وليعودوا الى العمل مرة أخرى عند العصر، طلب النجار من ابنه أن يعد لهم الشاي، لكن الابن تظاهر بعدم سماعه لوالده، الذي قام بطلب إعداد الشاي من تلميذ آخر؛ هب مسرعاً لتلبية طلب معلمه، انتبذ الإبن مكاناً قصياًَ تحت ظل الشجرة، بعيداً عن أبيه وتلامذته، إلا أن الأب حمل كوبه وكوب ابنه وقصده في مكانه القصي...

ابتسم قبل أن يلقي عليه السلام.

رد الولد بتأفف.

ابتسم الأب وقال له سألتني قبل قليل عن معاندة الأخشاب لك، وعدم انصياعها لأدواتك

أجاب الولد بتذمر نعم

الأب سأسالك وعليك أن تجيبني قبل أن أخبرك بما تريد

زاد الولد من تذمره وهو ينظر الى أبيه بنفاد صبر

- هل ابتسمت حين وصلت إلى مكان عملك

قال: الولد لا

- هل مسحت على القطعة الخشبية، قبل أن تضعها على منضدة العمل .

قال: لا

- هل استأذنتها قبل أن تعمل أدواتك عليها

قال: لا

- إذن لن تستجيب لك وستستعصي عليك

وأخبره بحكمة معلمه العجوز:

- الأشجار كريمة تمنحنا أخشابها لننتفع بها، لكنها تمسك روحها، ولا تهبك إياها، فكن رحيماً على الأخشاب حتى لا تؤذي روح الأشجار...

فهم الولد سر نجاح والده، لكنه استثقل نصيحته، ولكن لا مفر له من العمل بها، ومن يومها صار يبتسم عندما يصل الى مكان عمله، يسلم على الأخشاب، يمسح بحنو على القطعة الخشبية التي يريد تشكيلها، يستأذنها قبل إعمال أدواته عليها، أطاعته الأخشاب، صار ماهراً، يقصده الزبائن من الفيافي البعيدة، صار له أتباع وعُمال يأتمرون بأمره وينتهون بنواهيه، زاده ذلك تيهاً وغروراً...

وجوه نجمية سداسية الروؤس، ذات ملامح باهتة؛ تؤدي حركات غريبة، يتتابع ظهورها برتابة؛ على إيقاع فحيحي كئيب...

في صباح يوم من الأيام، سمعوا صوت صهيل خيول، جلبة كبيرة وخطوات تئن الأرض تحتها من قوتها، سحابة من الضباب والتراب حالت دون تبينهم لما خلفها، محتارين ينظرون إلى المجهول الذي يريدهم، حتى غطاهم ترابها كحوا جميعاً وعطسوا، قبل أن يبصروا حاشية ملكية تقف أمامهم بكل هيبتها وجلالها، فتح باب العربة التي تجرها الأحصنة، نزل

منها وزير ملك مملكتهم، كان له كرش كبيرة يرتدي ملابس ملونة بالذهب والفضة، بدا كمهرج في سيرك كبير، يمشي بزهو وصلف، سلم عليهم بصوت جهور

وقال:

- الملك يريد تعين نجار للقصر، وله شرطٌ واحد، ألا يكن له مثيل في المهارة، علي إمتداد أرض المملكة والممالك المجاورة

قال الولد للوزير :

- أنا أمهر نجار في المملكة ولا مثيل لي

الوزير:

- لو وجد لك الملك مثيلا سيقتلك.

النجار الماهر:

- لن يجد لي مثيل.

الوزير:

- إذن فسأكتب اسمك في القائمة، وهمس له في أذنه يمكنني مساعدتك.

النجار الماهر:

- كيف ؟

الوزير:

- سأعطيك قائمة كل النجاريين المسجلين لدي في القائمة، توأمت كيمياء الوزير وكيمياء النجار الماهر، بينما نفرت منهما كيمياء النجار الأب وصديقته الشجرة التي سمعت همس الوزير النجار الابن ...

النجار الماهر:

- ماذا أفعل بهم

الوزير:

- اقتلهم وتعال لتكون ذراعي اليمين في القصر، لكن دون أن تتلطخ يديك بدمائهم، قال ذلك هامساً، ثم عوى بصوت عال ملفتا الجميع، سانتظرك العام القادم في مثل هذا الوقت...

أخذت القائمة قرأت أسماء النجارين المهرة، حفظتهم عن ظهر قلب، في مرة من المرات قبل أن يكتمل العام، كان أبي على فراش الموت، طلب مني أن أخذه الى مكان عملنا تحت الشجرة، رفضت طلبه عدة مرات، ولكنه ألح كثيراُ هذة المرة، أخذته معي، عانقته الشجرة بأغصانها وعانقها بنظرة عينيه الحانية، عيناه اللتان حاول بهما لفت نظري لكثير من الأشياء، لكني تجاهلتهما عامدا، انتهى من تحيته للشجرة، جلس بمكاني القصي الذي انتبذته سابقاً، اغمض عينيه، وتلا عليّ القائمة التي أعطاني إياها وزير الملك، وجمت ورجفت، وسألت نفسي سراً، كيف علم أبي بأمرها، لم يطل الحديث عنهم، فقط أوصاني بأن أعتني بهم، وأن أصل ودهم لأنهم أصدقاءه وزملاء مهنته، وأخبرني بأن المعلم العجوز، هو من جمعهم ذات يوم، وأورثهم جميعا مهارته في مهنة النجارة، كانت كلماته: (عليك أن تحفظ ودهم وتصلهم)، ملكني عناوينهم عنوانا عنوانا، وهذا ما قفل عنه الوزير، مضيت بأبي إلى المنزل، بعد أن ودع شجرته ومكان عمله؛ تلامذته وحياته، تركني لشيطاني المبتسم داخلي، فقد مات من كان يحميني منه ومن أهوائي...

الآن فقط سأبدا في تنفيذ وصية الوزير، نظر ملياً إلى القائمة اختار التوائم، قابيل وهابيل هكذا أسماهما أباهما ظاناً من أنه سيكون آدم النجاريين، لم يأخذ منه الأمر وقتاً طويلاً، مشى بينهما بذات فتنة الحسناء، قتل هابيل قابيل، ومضى لزوجته بأن اقتليه فقد قتل زوجك، هكذا تخلص من أول اسمين وأقرب أصدقاء لأبيه في القائمة، بكى تحت ظل الشجرة كل الليل، كاد الندم يفتك بقلبه، عندما تراءت له صورة والده وتردد على مسامعه صوته وهو يقول له صل ودهم، تداخل له مع صوت الوزير بخيلائه، اقتلهم وسأنتظرك في القصر، ابتسم وهو يتخيل القصر وما يحوي، مسح دموعه حدد هدفه القادم، نفست فيه أنا كل ثاني أكسيد الكربون المحتقن داخلي، اختنق وفر هارباً من تحتي ...

علمّ الوزير بأن النجار الماهر بدأ في تنفيذ مهمته التي كلفه بها، ابتسم وتذكر وقفته المهينة وهو مطأطأ الرأس، أمام العجوز معلم النجاريين، عندما طرده من رهطهم؛ فقد كان يمشي بينهم بالفتنة، ومنذها وهو حاقد عليهم جميعاً، للم ابتسامته الفاضحة لحقده، وبخبث بعث له رسالة عزاء في والده مع رسولاً من رجاله، وصرة من المال، وتهنئة ببداية شروعه في مهامه، قبل الصرة، وأخبر الرسول بأن النجار يوسف؛ في طرف المملكة يدين بغير دين الملك، أخبر الرسول الوزير، أخبر الوزير الملك، الذي زج بيوسف في الجب، فمات لحظة ارتطامه بسطح مائه غريقاً، وصلت النجار صرة مال أخرى بعد أن ارتسمت الإبتسامة الفاضحة على وجه الوزير،

بكى تحت ظل الشجرة كل الليل، كاد الندم يفتك بقلبه، عندما تراءت له صورة والده وتردد على مسامعه صوته وهو يقول له صل ودهم، تداخل له مع صوت الوزير بخيلائه، اقتلهم وسأنتظرك في القصر، ابتسم وهو يتخيل القصر وما يحوي، مسح دموعه حدد هدفه القادم، نفست فيه أنا كل ثاني أكسيد الكربون المحتقن داخلي، اختنق وفر هارباً من تحتي ..

بعث بخطاب للأخير، مفاده أن الوزير وهبك الأرض التي تجاور أرضك، حمل الأخير الخطاب وذهب لصاحب الأرض، يطلب منه إخلاءها، استغرب صاحب الأرض. غضب وقتله، استلم الصرة وأمره الوزير بصنع تابوت، ليجمع فيه الجثث الأربعة، قبل أن يمارس طقس جلد الذات الذي اعتاد عليه، فقد صرت جثته الخامسة، لم يسلم ولم يمسح جزعي، ولم يستأذنني قبل أن يعمل عليّ فأسه، قطعني قسراً وصنع منّي تابوتاً، أرسله إلى الوزير، جمع الوزير الجثث الأربعة داخلي وقبل أن يغلقني، أضاف اليّ جثة النجار الماهر...

وجوه نجمية سداسية، ذات ملامح باهتة؛ تؤدي حركات غريبة، يتتابع ظهورها برتابة، أمام ناظري الوزير؛ على إيقاع فحيحي كئيب، وضعهم في قبو يؤدي إلى الممر الكبير المؤدي إلى بحر القلزم، متوقعاً هجمة الملك وعيونه للمكان واكتشافهم لأمره، فمن هناك يسهل التخلص من التابوت وما يحوي إلى البحر، أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم، أقلقوا منامه ونغصوا صحوه، زارهم مرة في القبو، فتح التابوت نظر ملياً داخله حتى وقع فيه ثم انغلق عليه، أتى حرس الملك تخلصوا من كل ما خُزن

في القبو رموا بهم إلى البحر، عند ارتطامهم بالماء خرجوا جميعا من التابوت إلا الوزير، حيث تولى التابوت مهمة إيصاله إلى مثلث برمودا..

لسان و شفتان يرددون لحن الجحيم بصوت فحيحي..

أذنان ترقصان رقصة الألم، على اللحن الفحيحي، الذي يتردد على اللسان والشفتان.

أنف يستنشق عطن جثث الموتى ورائحة الدم.

عينان جاحظتان ترسلان دمعاً أحمر، أسفاً وندماً تمسحه يدان.

يحيطهم وجه نجمي سداسي..

اليدان مغموستان في بحر دماء..

كلهم داخل النقطة التي تتقاطع فيها أقطار مثلث برمودة.

جميعهم يتلاومون ويسبون التابوت، التابوت على الشاطئ يضحك ضحكته الأخيرة، قبل أن تتفكك أجزاؤه، راسمة نجمة خماسية بريئة من نجمتهم، سخرت منهم النجمة قبل صعودها إلى السماء، وأصبحت كل مساء تأتي وتضحك على ما آلوا إليه ناقمة عليهم...

النحات

ترتجف خوفاً، عند تذكرها لما تعرضت له، تبكي فرحاً عندما تنظر إليه بجوارها، تبتسم لوالدتها، وتلمع سنها الذهبية...

يقف العروسان وجميع الحاضرين، يخاطب القسيس العروسين، في باحة كنيسة التوحيد، أعرق الكنائس.

أيها العزيزان، لقد جئتما إلى بيت الله، كي يعطي الرب زواجكما أمام القسيس أمام الكنيسة طابعا مقدسا...

إن المسيح يبارك الحب الزوجي، ويُغني المعمدين، ويقويهم بسر مقدس خاص، يحفظون به دوماً، الأمانة المتبادلة، ويقومون بما يمليه الزواج من واجبات...

لذلك إني أطلب الأن منكما أن تجيبا صراحة، أمام جماعة المؤمنين على الأسئلة التالية.

يسأل القس العروسين:

- يا أركماني ويا حورية، هل جئتما هنا لتعقدا الزواج، بحرية تامة ورضى أكيد وبلا إكراه؟

العروسان: نعم

القس: هل أنتما مستعدان لآن يبادل كل منكما الآخر المحبة والإحترام طول أيام حياته؟

العروسان: نعم

القس: هل أنتما مستعدان لأن تقبلا البنين، بحب من يد الله، وأن تربياهما بموجب شريعة المسيح والكنيسة ؟

العروسان: نعم

هنا يوعز القس للعروسين بالإعراب عن رضاهما

القس: فبما إنكما عازمان أن ترتبطا بعهد الزواج المقدس، ليمسك كل منكما يد الأخر

مسك كل منهما بيمين الآخر.

فيسأل القس العريس:

- يا أركماني، هل تريد أن تَتَّخذ حورية زوجةً لك، وهل تَعدُ أن تكون لها أميناً في الضيق والرخاء، في المرضَ والصحة، فتحبَّها وتُكرِمها طول أيام حياتك؟

فيجيب العريس: نعم أريد.

ثم يسأل العروس:

- يا حورية، هل تريدين أن تتخذي أركماني زوجاً لك، وهل تعدين أن تكوني له أمينة في الضيق والرخاء، في المرض والصحّة، فتُحبيه وتُكرميه، طول أيام حياتك؟

فتجيب العروس: نعم أريد

العريس: أنا أركماني، أقبلك، يا حورية، زوجةً لي، وأُعدك أن أكون لك أميناً في الضيق والرخاء، في المرض والصحة، فأحبك وأكرمك طول أيام حياتي.

العروس: ياسيدي القس لقد أكرمني قبل أن يعرفني، ألا يكرمني وأنا زوجته!!، تنظر إليه وتنهمر دموعها بغزارة.

أنا حورية أقبلك يا أركماني، زوجاً لي، وأعدك أن أكون لك أمينةً في الضيق والرخاء، في المرض والصحة، فأحبك وأكرمك طول أيام حياتي.

بعد أن يتحقق القس من رضى العروسين، يمد يده عليهما يقول القس:

- فليؤيد الربُّ العطوف رضاكما هذا، الذي أعلنتُماه أمام الكنيسة، ولْيُفِض بركته عليكما. ولا يُفَرِقَنَّ الإنسان.

الحاضرون: آمين

***

انتقلت مراسم الزواج من كنيسة التوحيد في فن فينة بالقرب من بع قيشون، إلى معبد المصورات شرق الروح...

موسيقى هادئة تنساب، في بهو معبد المصورات الصفراء، بعض المدعوين من أصدقائهما، أمها ورهطها...

ينظر في عينيها، يتيه في جمالهما، يمضي بعيداً، وتمضي.

***

ترتجف خوفاً، تستحم بعرقها، المدبوغ برائحة الزنجبيل، فُطمت على شرب القهوة الداكنة السمرة، المنكهة بالزنجبيل الحار، صار عرقها زنجبيلي، تشتم رائحته؛ تعرج بها كبساط ريح إلى ذاكرتها؛ تحج إلى منزلها في فن فينة...

تجد والدتها في المنزل، تحت عريشة العنب، المتوسطة لدارهم في سفح الجبل الأخضر بادرته بالتحية قائلة:

- صباح الخير

رد الجبل مبتسما:

- صباح الصحة والعافية

أشرقت عليه الشمس؛ أضفت على خضرته غلالة ذهبية، أوصاها كوني بردا وسلاما عليهم.

راشقته مياه الوديان تعكس زرقة سمائها؛ ضمها على خضرته بحنو. كونت ألوان طيف أبرزها البنفسجي. وقال: كوني مغتسلا باردا وشراب.

أتته الريح تحمل أشواق جبل البركل والإهرامات، قال لها: اقرئيهم مني السلام ولتأت ببذور الحب والخير .

إما ذرات ترابه المتفتتة من صخره بلون أدم فقال لها: أنا أتعهدك بالعناية والخصوبة...

أودعها ورهطها إلى أمهم، وظل يراقبهم جميعا عن كثب.

تتطابق ملامحها وأمها، ترتديان الزوريا البيضاء الباردة صيفاً والدافئة شتاءاً، خاطت الأم من ذات القماش غطاء شعر، تلبسه دائما، الجو هنا معتدل...

جاهلة بالوقت، تصحو على رائحة تحميص البن، استيقظت أمها باكرا، أنهت مهامها اليومية الصباحية، وهاهي تُروِّح عن نفسها بشرب البن، انضمت إلى امها ورهطها في العريشة؛ يشربون القهوة، يضحكون؛ تبتسم الأم؛ تلمع سنها الذهبية، تتأكد من سلامتهم؛ واستعدادهم لإستقبال اليوم الجديد، يمضون على مباركتها، قهوة أمها ذات نكهة مميزة، وطقوس مختلفة، لسفح الجبل فنجان محدد، يوضع بين الفناجين؛ تصب له من القهوة البكر، يظل في مكانه حتى يستقيم مزاجهم ومزاجه، فهو يشاركهم حياتهم...

***

داكنةُ السمرة؛ تبعد شعرها الغزير المبعثر، المتناثر عن وجهها، لم تمشطه منذ اختطافها، زادها ذلك شراسة على شراستها، التي زادت بها عن نفسها، لما هوجمت في أثينا وقبيل اختطافها، تبعهم من هناك، مؤانهم الجوية والبحرية والبرية...

تنظر إليه، تتوقع هجومه في هذه اللحظة، تفصل بينهما مسافة سنتمترية، تجلس على الأرض، متكورة ضامة ركبتيها، يخفي الورم عينيها الواسعتين العسليتين، يسيل المخاط من أنفها الأشم، تزكمه رائحة الأرض بعفونتها، تردد كلمات مبهمة، تتحرك شفتاها القرنفليتين، إذ لا صوت يخرج من حنجرتها، تغلبها بعض هنهنات البكاء...

يسمعها ولا يلق لها بالاً، يرقد مستقيماً؛ ساقاه أمامه، عيناه صغيرتان، يحك أنفه بطرفه الأمامي، حكات متتاليات متوترات، يشتم رائحة خوفها؛ مختلطة برائحة عرينه العطنة، يحول حاجز ما بينه وبينها، يحس إتجاهها بالإلفة، أكل كل اللواتي أهدين له في أوقات الوجبات، ؛ قطع لحمهن؛ رمى عظامهن؛ لعق دمهن بلسانه؛ منظفا فمه وأسنانه، الطقس هنا إستوائيٌ حار...

تثاءبت عظام نائمة بجوارها، أزعجتها رجفة الوافدة الجديدة؛ تململت؛ دغدغها شعر الضحية السابقة المعجون بالدم.

فسألته: أما زلت هنا، ألم تعدك الأرض إلى مكوناتك؟

قالت الأرض بصوت فخيم: هو ليس مني، يحتاج لبعض الوقت لإعادته.

العظام المتراكمة المتراكبة: كم نحن للأوبة.

تبتسم الأرض إبتسامة رزينة وتقول: ستعودون بلا شك.

قالت عظمة مشاكسة: يمضي العالم إلى الأمام وأنتن تردن الأوبة، إنتن عظمات خرفات.

ردت الأرض بذات إبتسامتها: وإن تقدمن إلى الامام فهن عائدات.

ينتظر مختطفوها لحظة انقضاضه عليها، هم قوم يبحثون عن رسولتهم التي بعثها إلاههم، في الهضبة الأولى البعيدة، ووصفها كالاتي: عمرها ثمانية عشر عاماً، لا تزيد يوما ولا تنقص، عذراء لم يمسسها رجل، منحوت على رسغها الأيسر؛ رمز العنخ منذ الولادة، عند لقائهم بها، أمرهم أن تُمتحن أصعب الإمتحانات، عندما تتجاوزتها؛ يقلوها الي هضبتهم الثانية؛ يدخلوها معه؛ فإن لم يلتهمها؛ يخرجوها؛ ينصبوها ملكة عليهم؛ إنطبقت عليها جميع مواصفات الرسولة، لم يبق إلا الشرط الأخير....

***

تحيط بصحن معبد الخراف، حجرات كثيرة ومتسعة، يقيم كل كاهن في مكانه المحدد، حسب ترتيبه العقائدي ووظيفته التي يؤديها، من أكبرهم حتي أصغرهم، شربت أرض أمون رع؛ من دم القربان؛ المقدم له ما شربت، كان الناذرون التائبون؛ يقدمون له القرابين في المعبد...

دعا كبير الكهنة؛ إلى لقاء عاجل، تحادرت الخطى؛ تقصد قاعة الإجتماعات، قطعت أجسام معتمة؛ رحلة أنوار القمر الممتدة؛ مما لفت انتباهه، فسأل الروح عما يجري قائلا :

القمر: نعمت مساءا ياصديق.

الروح: نعمت مساءا لا أدري عَمَ تسأل.

القمر: هناك حركة مريبة بجوارك.

الروح: لنسال أرض المعبد .

القمر والروح لأرض المعبد : نعمت مساءاً .

أرض المعبد :نعمتما مساءا .

القمر والروح : ما الذي يجري بأرضك.

أرض المعبد :لا شيء بعض خطوات حادرة، تتجه إلى قاعة الاجتماعات.

تقدمهم كبيرهم، كان وجهه شاحباً ومتغضن، نجح في إرتداء قناع الحزن، له عدة أقنعة يرتدي منهم ما يناسب مهمته المُقدم عليها، عيناه ثعلبيتان، أنفه عريض، وشفتاه سميكتان، أمرد .

تسلل الهواء البارد إلى القاعة؛ راقص شمعات حوائطها، أضافت بظلالها لمحة أسى؛ على وجه كبيرهم، توجس البقية، يترقبون أمرا جللا، حملت النسمات بنات الهواء، عطر بخور القاعة إليه...



أقرأ آخر كتاب صدر في أثينا، وصلني لتوه عصر اليوم، أدوِّن بعض ملاحظاتي على ورقة واحتفظ بها داخل الكتاب، الكتاب الذي بين يدي شيق وجميل وكتب بلغة جزلة...

أتخفف من كل أحمالي عندما أقرأ، الزي الملكي، التاج والصولجان، عندما تقرأ يجب أن تكون تلميذاً تطلب العلم والمعرفة، القصة التي بين يدي تروي حكاية عروس البحر...

***

علمت بمروري بمعبد الخراف، بحياكة خيانة ما، لم أتبين ماهيتها، حملت عطر البخور المميز، دخلت عليه، لم أجد الملك أركماني، وجدت فيلسوفا ومثقفا، يعكف على قصة، يقرأها ويحللها، استنشقني اشتم عطري، شاغلت حدسه، أغلق الكتاب، خرج إلى مجلسه؛ نادى الحاجب، أمره بأن ينادي أحدهم؛ ليتقصى أمر المعبد، نجحت في مهمتي، لفت إنتباهه لما يدور بعيداً، وددت لو أكملت معه، قصته الشيقة، أسطورة عروس البحر...

سمعت القصة من جدتي ذات ليل، كنت في المهد، أنام على حكاياتها، وها أنذا أجدها عند آخرون باختلاف طفيف في التفاصيل، عروسهم بيضاء كقطعة ثلج، ذات شعر أشقر طويل تسرحه وهي تجلس على الشاطئ، عروسنا سوداء كلؤلؤة نادرة، ذات شعر قوي كثيف ومبعثر، تجلس في صخور الشلالات، هي صعبة المنال، عروساتهن غضبت عليهن أمهاتهن فأهدوهن للبحر، عروساتنا رضيت عليهن آلهتهن وأهدين للروح، أتمنى لو أحظى بإحداهن...

***

علم بما يحاك بالمعبد، تغاضى وفي نفسه أمر، يجلس على عرشه بين حاشيته، أتته الرسالة الكهنوتية التي تنص على:

(أنا الإله أمون رع. آمرك بأن تقدم روحك قربانا لي، عبر تقليد الاغتيال الطقوسي، فان أجدادك يحتاجونك، لفض بعض الأمور الشائكات هناك، وقد رأينا أن صلاح مملكتنا في أن تكون بينهم. دمت ذخراً لنا وللمملكتك في الحياة وبعدها)

رسم ملامح التوتر؛ على وجهه بإتقان، التقليد انتحار محض، بتجرع سم معين، يقوم كبيرهم بتحضيره، يُخلط بقهوة الزنجبيل داكنة السمرة، تعدها القربانة المنتظرة، وعلى الملك الإستسلام التام، لأمر رع وسم كهنته وقهوة قربانتهم...

***

ترتجف خوفاً، تستحم بعرقها، المدبوغ برائحة الزنجبيل، فُطمت على شرب القهوة، المنكهة بالزنجبيل الحار، صار عرقها زنجبيلي، تشتم رائحته؛ تعرج بها كبساط ريح إلى ذاكرتها؛ تحج إلى المعبد...

تجد كبيرهم في غرفة الاغتيال الطقوسي، المتوسطة للمعبد أعلى جبل البركل

بادرته بالتحية قائلة: مساء الخير

الكاهن: هذه أخر ليلة لك في الحياة

القربانة: أعلم يا سيدي، علمت أن آخر واجباتي، إعداد قهوة موت الملك.

***

يقتلني حزني عليها فهي في ريعان شبابها، غدا ستكمل الثامنة عشرة عاما، وهي مباركة مولودة ورمز بيا العظيم منحوت على رسغها، تمنيت تزويجها بأحد نبلاء المملكة، تمنيت حمل أحفادي ألاعبهم وأسهم في تربيتهم، لكن الكهنة سيقدموها غدا قربانة وعروس بحر لأمون رع...

غلبها النعاس؛ قلبها مفطور على ابنتها، تختلف المسميات والموت واحد، رأته في منامها يقف بكل شموخه وعزته، ورأت رهطها معها، في غابة كثيفة، بجانب منابع الروح، والشمس تحي الأرض معلنة حضورها، كانوا يرتدون الزوريا البيضاء، الدافئة شتاءا، الباردة صيفاً، يرقصون رقصة طقوسية، لم تعرفها من قبل، كانوا صفاً، مكون من خمسة نساء ورجلين، ابنتها في منتصف الصف، ترقص وتضحك وترمي الشبال، بشعرها يمنة ويسري، كانوا يمدون أياديهم أمامهم، يلاقون بها سيقانهم، كمن يركض، يعيدونها مرتين وفي الثالثة يرفقون الشبال، ويبرز نحت بيا العظيم في رسخ ابنتها عروس البحر، يرددون نشيده بكلماته القوية...

خلقنا الله فسجدنا له وجعل العالم ليهتف لنا
فنحن الاوائل في كونه وكل البشر أتوا بعدنا
فيا مجد كوش العظيم المجيد فمن فى الورى يك مثلنا
وكنداكة تنسج ثوب المهابة عزا وفخرا ليبقى لنا

يرقصون بالقوة ذاتها، استيقظت وهي تدعوه بأن يحفظ عروس البحر، وأن يختار فدية تقدمها له بدلا عن ابنتها، تيقنت

من حدوث ذلك، بعثت في قلبها الأمل، ابتسمت لمعت سنها الذهبية...

***

منكب على منحوتتي، علي ان أكملها فيما تبقي من اليوم، أزيل بعض الزوائد بحوافها، ابتعد عنها أنظر إليها أفخر بها، تمثالي يحاكي التمثال الأصلي لأبادماك، مستأنس به كمن نحته قبل اليوم...

أتخفف من كل أحمالي عندما أنحت، الزي الملكي، التاج والصولجان، عندما تبدع يجب أن تكون ناسكا ينتظر الوحي والإلهام، التمثال الذي بين يدي يحكي مجد أمة...

علمت بمتابعتي لهم في شوارع أثينا، بأن جريمة ما تتم، ضحيتها الفتاة داكنة السمرة، حملت رائحة عرقها الزنجبيلي المميز، دخلت عليه في أستديو النحت، لم أجد النحات العالمي المشهور، وجدت فيلسوفا ومثقفا، يعكف على منحوتته، يعمل إزميله عليها ويزيل الشوائب، استنشقني اشتم عطرها، شاغلت حدسه، وضع الإزميل، خرج إلى باحة المعمل؛ نادى أحدهم، طلب منه ترتيب شأن غيابه، نجحت في مهمتي، لفت انتباهه لما يدور بعيداً، وددت لو أكملت معه، نحت تحفته الفنية، تحفته الأسطورية..

***

تهيأ معبد الخراف، لإستقبال أركماني الملك، الذي سيأتي لتنفيذ أمر أمون رع، الناص علي أن يقتل نفسه بتجرع السم، المخلوط بقهوة الزنجبيل...

تهيأ قصر المصورات الجديد، لوداع أركماني الملك، الذي سيذهب لينهي أمر أمون رع، الناص على أن يقتل نفسه، بتجرع السم المخلوط بقهوة الزنجبيل،...

تهيأت لأن تُرمي بقلب الروح قربانة وعروس بحر لأمون رع، وأنه سيأكلها بعد أن يجوع ...

تهيأوا للبحث عن آلهة أخرى، إذا ما التهم هذه التي في عرينه، كما تهيأوا لتنصيبها ملكة أيضاً إذا لم يفعل...

تهيأت الأم لإستقبال ابنتها، المرهقة مما عانته، ثم تراءت لها...

جاهلة بالوقت، تصحو على رائحة تحميص البن، استيقظت أمها باكرا، أنهت مهامها اليومية الصباحية، وها هي تُروِّح عن نفسها بشرب البن، انضمت إلى أمها ورهطها في العريشة؛ يشربون القهوة، يضحكون؛ تبتسم الأم؛ تلمع سنها الذهيبة، تتأكد من سلامتهم؛ إستعدادهم لإستقبال اليوم الجديد، يمضون على مباركتها، قهوة أمها ذات نكهة مميزة، وطقوس مختلفة، لسفح الجبل فنجان محدد، يوضع بين الفناجين؛ تصب له من القهوة البكر، يظل في مكانه حتي يستقيم مزاجهم ومزاجه، فهو يشاركهم حياتهم...

أشرقت عليه الشمس؛ أضفت على خضرته غلالة ذهبية، أوصاها كوني بردا وسلاما عليهم.

راشقته مياه الوديان تعكس زرقة سمائها؛ ضمها على خضرته بحنو، كونت ألوان طيف أبرزها البنفسجي. وقال: كوني مغتسلا باردا وشراب.

أتته الريح تحمل أشواق جبل البركل والإهرامات، قال لها: اقرئيهم مني السلام ولتأتي ببذور الحب والخير.
أما ذرات ترابه المتفتتة من صخره بلون أدم فقال لها: أنا أتعهدك بالعناية والخصوبة ...
أودعها ورهطها إلى أمهم، وظل يراقبهم جميعا عن كثب

***

تحرك جيش أركماني العظيم من المصورات الصفراء قاصداً معبد الخراف في قمة جبل البركل المنحدر على الروح، لينهي أمر أمون رع القاضي بموته، كان ذلك قبل بزوغ الفجر بقليل...
الطبول تدق، تقدمته فرقة موسيقى الجيش، أوقفهم ليردد نشيد بعانخي العظيم

إنني لا أكذب
لا أعتدي على ملكية غيري
لا أرتكب الخطيئة
قلبي ينفطر لمعاناة الفقراء
لا أقتل شخصا دون جرم يستحق القتل
لا أقبل الرشوة لأداء عمل غير شرعي
لا أدفع بخادم استجار بيٍ إلى صاحبه
لا أعاشر إمراة متزوجة
لا أنطق بحكم دون سند
لا أنصب الشراك للطيور المقدسة
أقدم الخبز للجياع

الماء للعطشى
الملبس للعري
أفعل هذا في الحياة الدنيا
أسير في طريق الخالق
مبتعدا عن كل ما يغضب المعبود
لكي أرسم الطريق للأحفاد الذين يأتون بعدي
في هذه الدنيا والذين يخلفونهم وإلى الأبد

سمعت والدتها كلمات في صحوها، تماثل ذلك النشيد في منامها، قامت ورهطها تقدموا الجيش راقصين رقصة الهايبو، تلك الرقصه التي رأتها في منامها، لكن عروس البحر لم تكن بينهم، كانوا كالمنومين تماما...

***

كان جسيما ذو هيبة تعلم فنون القتال منذ صغره في الغابة، هناك التقاه، كان متألما وجريحا، لم يتوقع أن ينقذه، توقع أن يجهز عليه ويقتله خوفا ورهبة، أو أن يذهب إلى شأنه استصغارا واستضعافا..

لم ألبِ توقعاته، ولبيت ندائي الداخلي، بأن كل روح يجب أن تحيا، كانَ شبلا عندها، انغرز سهم صياد ماهر أسفل عنقه، كان جرحه غائرا ودمه فائرا، كان علي أن أتحلى بالقوة الجلد والقسوة لإخراج السهم، كان أنينه خافتاً يغالب ألمه...

حملني رغم ثقل وزني، فهو فتى وقوي، أسند رأسي على دبة من الأرض، رفع رأسي ازداد الألم، تأوهت بصوتٍ عالٍ...

استجمعت ما أوتيت من قوة، أمسكت بالسهم بكلتا يدي، سحبته خرج من أسفل عنقه مسبباً جرحاً غائراً، اندفع الدم وغاب عن الوعي...

لم يكتفِ بذلك، بل أخذ من ثمرة شجرة القرض، التي ترميها القرود على مرتادي الغابة لملاعبتهم...

طحنتها كما حكت لي جدتي في إحدى قصصها التي أنام عليها، أن ثمرة القرض الصغيرة المرة تبرئ الجرح، ولها فوائد أخرى صنعت منها عجينة بأن صببت فيها قطرات من ماء الروح، ووضعتها على جرحه الغائر...

كان يعيد تطبيبي يوميا قبل أن يبدأ تدريبه، وبعد أن ينهيه، استمر ذلك لأسبوعٍ كامل...

بعدها مضى إليّ قلب الغابة وكنا نتقابل لماما

***

كان جسيما ذو حظوة، لامع السواد، أنفه عريض، عيناه حادتان، شفتاه ممتلئتان، شعره كثيف، قوي خشن، رأسه كبير، يتناسب وقامته، يضع عليه تاج الذهب المطعم باللالئ السوداء النادرة، يحمل صولجانه بذات اليد التي طبب بها الأسد، يغطي صدره العريض، درع الحرب الموروث عن بيا العظيم، سيفه في غمده، وقوسه وسهامه في كنانتها، يركب حصانه القوي المتين، الذي يحبه ويخلص له...

موكبه مهيب، مؤيدوه ومحبوه على جانبي الطريق، الأم ورهطها يرقصون أمامه، رقصة تحاكي ركض صديقه الحميم، عندما يريد اصطياد فريسته، جيشه خلفه، تصحبه دعوات

جدته التي لا تحب الخراف، هو من عل يتراءي في الأفق كلوحة مرسومة من خطوط نور ذهبية، مضى علي بركة كل هؤلاء، تنتظره عروس البحر...

وصل نبأ الموكب إلى الكهنة، في معبد الخراف، لم يعلموا أن للملك، نية غير التي عرفوها، أعدت عروس البحر قهوة بالزنجيبل، حتى تخلط مع السم..

صهل حصانه وصلهم صوته زئيراً، تداخلت أحاسيس من كانوا في المعبد، سمعت القربانة صوت غناء أمها من بين الجموع، ابتسمت. لمع سن والدتها الذهبية، خطفت خطوط الشمس تلك اللمعة ظناً من أنها جزءا منها، رسمت الخطوط صورته في أفق جبل البركل، ظل يتراءى له، يتبعه وكلما اقترب منه صهل حصانه وعلا صوته زئيراً مجلجلاً، هز أرجاء المعبد وزلزلها على من فيها .

قالت اقترب خلاصي

***

يسمعها ولا يلق لها بالاً، يرقد مستقيماً؛ ساقاه أمامه، عيناه صغيرتان، يحك أنفه بطرفه الأمامي، حكات متتاليات متوترات، يشتم رائحة خوفها؛ مختلطة برائحة عرينه العطنة، يحول حاجز ما بينه وبينها، يحس اتجاهها بالإلفة، يترك لها عرينه ويخرج...

يصفق الشعب البدائي الذي كان ينتظر انقضاضه عليها، يبكون يهنئون بعضهم، فعناؤهم لم يذهب هباءاً، وفقهم آلههم في العثور على رسولتهم ومليكتهم...

هو مندس بينهم لم يلقوا له بالاً في غمرة فرحهم...

***

كان جسيما ذو حظوة، لامع السواد، أنفه عريض، عيناه حادتان، شفتاه ممتلئتان، شعره كثيف، قوي خشن، رأسه كبير، يتناسب وقامته...

ترتجف خوفاً من تلك العجوز الشمطاء، التي أتت لإصطحابها، لإكمال مراسم تنصيبها كملكة ...

أنا لا أعرف لغتهم وماذا سيفعلون بي؟

من هم؟ ماذا يريدون مني؟

كنت في طريقي لإكمال دراسة الفنون الجميلة في أثينا، لكنهم اختطفوني، قطعنا المطارات والموانئ. سرنا راجلين لأيام عدة، لم يقدموا لي فيها الطعام فقط بعض الماء، في هذة الغابة الكثيفة الأشجار، وعرة المسالك، أتوا بي إلى قلبها، أدخولني معه في عرينه وعلمت من حديث العظمات والأرض، أنهم قدموا له الكثير من الفتيات قبلي، أكلهن بلا تردد، لم يأكلني تركني وذهب، أتتني هذه العجوز وخوفي منها أكبر من خوفي منه...

سأخلصها من بين يدي هؤلاء الجهلة، وسأخطفها كما فعلوا، سأعيدها إلى ديارها، ثم أعرف منها حقيقة ما تعرضت إليه، هي تشبه منحوتتي التي تركتها في المتحف..

لكن لماذا تركها ومضى خارج عرينه؟

لا يعنيني أمره، مايهمني الأن هو تخليصها من حارستها العجوز الشمطاء، التي تدخن باستمرار وتضع علامة حمراء على جبينها...

سمعت من أحدهم القصة، عن الملكة وكانوا يعنونها، تكلم ذلك الرجل إنجليزية فقيرة عبر هاتفه النقال، كان يشرح لمحدثه أهمية الحدث بالنسبة لشعبهم، وضرورة أن تأتي القنوات التلفزيونية، الإذاعات والصحف لتغطيته، لم يكن يعلم أنني خطفتها، وأنهم لايملكون مليكة ولا رسولة لتنصيبها...

***

دكت خيول الملك أركماني، جبل البركل، زلزلت أرض معبد الخراف، الكهنة الخراف ركضوا إلى الروح ارتموا بين موجاته هربا من بطشه، أغرقتهم موجاته، جزاءا لغدرهم بمليكهم المحبوب، زغردت عروس البحر، احتضنتها والدتها وقفت في منتصف صف الراقصين، واستانفوا الرقصة مكتملي العدد، تحقق حلم الأم...

رأها أركماني خلبت لبه، ربما تحقق حلمه بالزواج من حورية من حوريات البحر، منحوت على رسغها الأيسر مفتاح الحياة، لها ولأحفادها القادمين...

انتهى عهد آمون رع وبدأ عهد أبا دماك، رسمه لهم بخطوط ذهبية كما رآه، نحتوه بقلوب تحيا بحب أركماني وحب أبادماك، كتب الشعر في حبه تلا هذا النشيد في مدخل المصورات رحا بنصره...

لك الشكر يا أبا دماك... رب النقعة ...

الإله العظيم ...رب المصورات
الإله الضخم ... أسد الجنوب القوي اليد
الإله العظيم... الإله الذي يأتي لمن يستدعيه
الإله العظيم الذي يحمل السر الخفي في وجوده
السر الذي لا تراه العيون
هو رفيق الرجال والنساء
لا يعوقه معوق في السماء أو على الأرض
في اسمه يمكن الإزدهار للبشر
ينفث اللهيب على أعدائه بإسمه العظيم ذي القوة يقتل العدو
هو الإله الذي يعاقب من أجرم في ذاته
ويهيئ مكانا عليا للذين يهبون أنفسهم لخدمته
ويعطي من ينادي في حضرته بالإله السيد العظيم
ويرد عليه قائلاً
إني أعطيكم كل شيء يخرج بالليل وكل شيء يحدث بالنهار
أعطيكم بسرور سنوات الشمس والأشهر القمرية
هكذا يقول رب المصورات الصفراء، الذي يعطي الحياة كإله الشمس إلى الأبد.



محاســـن الجـــاك

نصوص:

احذر خيالك

الشبح

وتوقفت بداخله دارات الزمن



احذر خيالك

بعد أن جلست على دخان خشبات الطلح المحترقة؛ فركت جسدها بتلك العجينة الناعمة المعطرة فغدا لونها كأنه سنبلات قمح دانية القطاف تحت أشعة الشمس الذهبية، أما رائحتها فصارت مثل عطر حدائق الورود في منتصف الربيع ... خرجت لقضاء بعض شأنها وكان الوقت صباحا .. هو كان يجلس عند زاوية الشارع، أذهله ما رأى وما استنشق فالتفت نحوها يتابعها بنظراته حتى غابت في انحناءة الطريق.

سناء ذات الخمسة وعشرين ربيعًا متزوجة منذ أكثر من عامين من ابن خالتها المغترب بدول الخليج، أما عاطف فقد عاد من بلاد العم سام بعد غيبة امتدت لعشر سنوات. ذهب في أولها وهو ابن عشرين ربيعاً لدراسة الهندسة فقد كان والده ميسور الحال ولكنه عاد ولم يكون بحوزته غير بعض الألوان ومجموعة فرش للرسم وتلك الاسطوانات المعدنية ذات الحوامل المحكمة الإغلاق وقد احتار أهل البلدة كثيراً ماذا تحتوي!!. إلى أن فتح إحداها ذات يوم أمام والده ولمّا رأى الوالد اللوحة التي كانت بداخلها نعتها بأنها (خربشة أولاد) .

ظل عاطف يراقب سناء من بعد وهي غير منتبهه وهو يزداد كل يومٍ شغفًا بها وحبًا لها، وكان بعد أن يراها في جولتها الصباحية تلك يذهب إلى غرفته ويغلقها عليه طوال النهار غير مستجيب لنداء أمه المتكرر بأن يخرج ويتناول طعامه.

في أحد الأيام وصلته رسالة من أحد أصدقائه بأن هناك معرضًا للتشكيل سيقام في العاصمة وعليه أن يجلب لوحتين أو ثلاث للمشاركة في المعرض. شدَّ عاطف الرحال للعاصمة وبحوزته عدد من لوحاته الجميلة. وعند دخول المنافسة فازت أحداهن بالعرض في صدر القاعة كلوحة أساسية في المعرض .

أمَّ المعرض عدد غفير من الشباب كان من ضمنهم شابٌ اهتم جدا بلوحة عاطف، فقد كانت تحمل وجه شابة في غاية الجمال. ظهر نصف صدرها الأعلى من خلال ردائها الوردي الجميل الشفاف . سأل الشاب عاطف عن ثمن اللوحة فرد إنها ليست للبيع فهي لشخصٍ عزيزٌ على قلبه .

رجع عاطف البلدة وهو متلهف جدا لرؤية سناء كعادته كل يوم ولكنها لم تظهر وعندما سأل والدته عنها أخبرته بأن أهلها جهزوها على جناح السرعة والحقوها بزوجها في المهجر .

حزن عاطف حزنًا شديدًا، وعافت نفسه الأكل والشرب وحتى النوم. وكان يجلس كل يوم في كرسيه ذلك حتى ساعة متأخرة من الليل، ولكن بعد عدة أيام اقترب منه أحدهم محييًا فتبين له أنه الشاب الذي أراد شراء اللوحة في المعرض.

وقف عاطف لتحية الشاب فعرّفَ الآخر عن نفسه بأنه خالد شقيق سناء، وعندما احتضنه عاطف غرس خالد سكيناً حادة النصل في صدره حتى قلبه وهمس في أذنه بأن أعراض الناس ليست لعبة.

نظر إليه عاطف والدموع بعينيه وقال: ولكنه مجرد خيال فأنا لم أتحدث معها ابدًا .

الشبح

المقهى الذي يتوسط ساحة القرية يعج بالناس عند الأمسيات .

يؤمه كل رجال وشباب القرية .

تعلو أصواتهم بالنقاش تارة وبالخلافات تارات أُخر .

يتحلق الزبائن في حلقات كل يمارس هوايته المًحببة .

منهم من يلعب الطاولة أو الكوتشينة وفي ركنها البعيد طاولة للعب التنس..

تدور المناقشات في أحوال البلد، وارتفاع الأسعار، وغلاء المعيشة . وغالبا يتفقون على أن علتهم هي حكومتهم ولكن الأمر لا يعدو أن يكون نقاشا مُعادا ومكررا لقتل الوقت فقط .

في بعض الأيام يجنحون للنقاش في أمر كرة القدم عندما تكون هنالك مباريات مهمة، محلية أو عالمية...

قلة منهم يتجمهرون أمام شاشة التلفاز التي تتوسط المكان في متابعة لمسلسل تركي أو هندي تمتد حلقاته لشهور متعاقبة حاجبا إياهم عن كل حراك في القرية في مثل هذا الوقت...

يرتفع صياحهم بين الفينة والأخرى منتقدين البطل أو البطلة أو أحد شخوص المسلسل وقد يصل الانتقاد حد الشتم .

منذ وقت ليس بالقليل بدأت تلك الطفلة ذات الجدائل الطويلة بارتياد المكان..

كانت تجلس وحيدة منزوية تراقب الزبائن في هيجانهم ودخولهم وخروجهم بعين فاحصة حتى تقع عينها على ذلك الرجل الخمسيني وسيم الطلعة فارع الطول.

تظل طول الوقت تراقبه بلا كلل ولا ملل، تتجه ببصرها أينما ذهب...

يعبرها الرجال ذهابا وإيابا ولكنهم لا ينتبهون لوجودها.

تظل هي في مكانها لا تبرحه حتى يغادرون ...

استمر الحال على هذا المنوال أياما وشهورا ...

وفي يوم ماطر كئيب أعلن المؤذن عن موت أحدهم داعيا الناس لتجهيز الميت ومواراته الثرى...

انفض سامر المقهى مبكرا وذهبوا لأداء الواجب وظلت الطفلة وحيدة في الظلام وابتسامة تعلو وجهها

في مساء اليوم التالي جاءت الصغيرة كعادتها تبحث عن الرجل !!..

وما إن ظهرت في ركن المقهى حتى سارع إليها واحتضنها فحدثته معاتبة:

لماذا تأخرت عليَّ يا أبي؟

فرد عليها: لكل أجل كتاب يابنيتي.

ثم أخذها من يدها وغادرا.

وتوقفت بداخله دارات الزمن

تعودت فتيات الحارة مشاكسته ضاحكات.. (تعرسني يا الخزين)... فيهز رأسه بشدة مجيبًا: لاااا لع أنا بعرس إخلاص أم عيونن كباااار ... فيضحكن ملء أشداقهن وينصرفن عنه ...

الخزين شاب في الأربعين من عمره.. متوسط الحجم مربوع القامة، وسيم جدًا، وإن أخذت منه الأيام كثيرًا من نضارة وجههِ واشتعل رأسه شيبًا بكثافةٍ لا تناسب عمره...

تحكي لي والدتي حكايَته مع إخلاص بنت رحمة الله الشابة فائقة الجمال، ذات العيون الواسعة كأنهما بركتا ماء صافٍ زينتا وجهها المستدير المزهر الخدين كفلق الصبح الوضاح ...

تقول والدتي إنَّ الخزين ومنذ فجر صباه الأول كان معلق القلب بإخلاص رغم الفارق الاجتماعي الواضح بينهما، فهي من أسرة غنية أما هو فقد كان من أسرة متواضعة جدا، ولكن ذلك لم يمنع الخزين من التعلق بها ورصد حركاتها ومراقبتها أينما ذهبت...

انتبهت إخلاص لهذا العشق المبكر المجنون، وحذرت الخزين في أكثر من مناسبة وهي تزجره بشدة، لأنها تعرف تمامًا استحالة الأمر، فلم تمني نفسها بتتويج هذا الحب الصارخ القوي، وإن كانت ترتاح لهذه المشاعر ولكن فيما بينها وبين نفسها فقط..

مرت الأيام وكبر الصبي، وكبر معه عشقه لإخلاص، فلم يحدث نفسه بسواها أبدًا. وكان كل همّهُ أن ينال رضاها فعمل جاهدًا ليل نهار في المزارع المجاورة للبلدة وصار يكسب مبلغا محترما من المال... أصلح من شأن أسرته ونفسه فظهرت وسامته بادية للعيان فالتفَّت حوله فتيات البلدة يطلبن ودّه ولكنه كان في شغل شاغل عنهن لا يرى سوى محبوبته إخلاص ...

في مساءٍ أحد الأيام وصلت البلدة عربةٌ فارهةٌ لم تلج مثلها البلدة قبل ذلك وكان خلف مقودها شابٌ جميل الهيئة حسن المظهر تبدو عليه آثار الثراء الفاحش... لم يكن هذا الشاب سوى ابن عم إخلاص الذي عاد من بلاد الغربة منذ أيام ولم يكن قدومه للقرية إلا بغرض إتمام زواجه من إخلاص ...

عاشت القرية أجمل لياليها في فرح وحبور وسرور ومغنى وطرب.. لم يكن هناك حزين ولا معذَّب سوى شخص واحد هو الخزين... انتبذ أقصى مكان في البلدة.. مقابرها ورافق الأموات تلك الليلة والليالي التالية حتى انتهت أيام الزواج .. عندما عاد من المقابر كانت قد تبدلت ملامحه كثيرا واتسخت ملابسه وتجعَّد شعر رأسه وصار هائما في طرقات البلدة لا ينتبه لشيء ولا يستوقفه أمر ... ظل على هذه الحال طوال عقد ونصف منٍ الزمان تداعبه الفتيات بتلك العبارة الشهيرة (تعرسني يا الخزين)... فينفي الأمر بشدة بهزةٍ عنيفة من رأسه...

حتى كان ذلك اليوم الذي رجعت فيه إخلاص وأسرتها من بلد الغربة لتأدية واجب العزاء في وفاة أحد أعمامها... رأى

الخزين تلك الصبية ذات الخمسة عشر ربيعًا وكأن عيناها بركتا ماء زينة ذلك الوجه البدري المنير فاقترب منها ضاحكًا وقال: إنتي رجعتي يا إخلاص.. كنت عارفك بترجعي... فنظرت اليه الفتاة ضاحكة بصوت كأنه رجع ناي رخيم وردت عليه قائله: معقول أنا بشبه أُمي للدرجة دي يا عمو...؟؟؟



محمد الخير حامد

نصوص:

طموح

هروب إلى الشارع الخلفي

السارقة الأنيقة



طموح

قالت:

ـ لا أستطيع أن أحيا بدونك، فأنت كل شيء في حياتي!. تودعني كل ليلة، وتصبّحني بابتسامتك الجميلة.

كلمات جوفاء، فارغة من أي معنى. كلمات لا تروي ظمئي، واشتهائي. تقول ذلك وتستعملني أداةً لأهدافها، أنا وأوراقها المكدسة على مناضد غرفتها. نحن جميعاً نمثل محور حياتها ومصدر اهتمامها أو هكذا نبدو للعيان.

تغمرنا بحنانها الفياض؛ ورقَّتها الكاذبة، حينما تحتاج إلينا، وتنسانا وقتما تجد أنيساً سوانا، تلجأ إلينا دائماً في مساءاتها الحزينة والدموع تطفح من عينيها. لا تجد لنفسها متنفساً غيرنا في مثل تلك اللحظات العصيبة.

تأتي إلينا بكبريائها المكسورة، وقلبها المسكين المهزوم مستأنسةً بنا. تستأذنني في قضاء بعض الساعات من الليل، تجدني لم أنم وأنتظرها بلهفة، هطولها يطرد النوم من جفوني، أساعدها في غمرة احتياجها لي.. تلمس أوراقها.. دفترها تجده يغالب النعاس ويحاول أن يهزمه ليصمد مثلي. أقول لنفسي معزِّياً: ربما عليَّ أن أفرح لأن هناك من يساهر مثلي في هذا الوقت ويتفانى.. ربما كنا، أنا، وهو الوحيدان اللّذان يعرفان أسرارها ويكتمانها بدافع الحب والإحساس والتقرب منها، حتى لا تستبدلنا بغيرنا، فأمثالي كُثر، وأمثاله موجودون أيضاً.

أراها تفعل بي أشياء عجيبة، متحوِّرة ومتكوِّرة، تسرع، وتبطىء، ولكنها تبدأ دائماً من الأعلى فتنزل بعد مسارٍ طويل إلى الأسفل قليلاً قليلاً..

بعض أصدقائي تحدثوا معي، ووصفوا ما تفعله فقالوا: أنها أشكال من الرسومات والفن التشكيلي. تسكبني حروفاً وأشكالاً متناسقة، عميقة الدلالة، بعضهم قال لي إنها تبدو كاللغات القديمة.. هي لغة لا أفهمها، لكنها تجد الإعجاب من قبل الكثيرين حولها. عرفت أنها تسميهم النُقاد والمعجبين..

لابد أن هناك شيئاً ما يجعلها تتقرّب إليَّ هكذا.!! ولكن أين أنا منها؟! فبالرغم من تقرُّبها إليّ، وتقرُّبي إليها، فإننا لم نزل كما نحن، هي، بعيدة عنِّي، ولم أستطع أن أنال منها شيئاً.

كانت قاسية عليَّ كثيراً ولا زالت، لكن لابد أن هناك وسيلة للوصول إليها. إن لم يكن الوصول إلى قلبها؛ فلأشياء أخرى إذن عليّ أن أسعى.

هل يا ترى، ستمنحني فرصة للتمتع بالنظر إلى عينيها، أم سأظل هكذا دائماً، وجهي ووجهها مُبعدان قصداً عن بعضهما البعض؟!.

أو ربما، سأستمتع بملامسة خديها؟! أيمكنني لثمها وتقبيلها؟ أيحدث ذلك مثلما كنا قديماً، في السابق؟! أيام دراستها، كانت تمنحني أجمل لحظات عمري، فعندما تستعصي عليها مسألة ما في الامتحان، كانت تسرح بعيداً وتتنهد ويرتجف قلبها، وقلبي أيضاً. ترتجف هي خائفة، بينما يرتجف قلبي لاقتراب لحظة نشوته عندما تُقَربه من شفتيها، وهي تفكِّر في حل المسألة.

فتدغدغني دون وعيٍ منها، وتضغط عليَّ بأسنانها بلطف، وأنا أتلذذ بذلك أيما تلذذ. تحركني على شفتيها وأنا أتلذذ أكثر، وأكثر.

لطالما تمنيت أن أظل بتلك الجنان العذبة طويلاً. تمر اللحظة كالحلم. أستعيد وعيي، أعتذر لنفسي، هي ترجع إلى صوابها، وسرعان ما تهتدي إلى حل مسألتها، فأطيعها على الورق بانصياع.

تقول لغيري: أنها تحبني، ولا تتحمل ابتعادي عنها. تصرِّح بذلك عند لحظات انفعالها، وفي التلفاز، والصحف، والإذاعة.

هي تقول كل ذلك، بينما تحول بين وصالنا. لكنني لم.. ولن .. يتملكني اليأس، وسأمضي في طريقي للوفاء بعهدي لنفسي وأصدقائي. وأجعلها تعترف بفضلي عليها..

لا زلت أسكب رحيقي لإعلاء شأنها، أمنحها روحي، إحساسي، وزمني، فتسكبني كما تريد، وكيف تشاء. تخرجني حرفاً، وقصيدة، ومقالاً، ورواية، وقصة وخاطرة.

أتحرَّك بأناملها كما تريد، وكيفما تشاء، وأنا متلذذٌ بذلك.

ألا يستحق ما فعلته لها؛ أن تعترف، وبصدق، أمام الجميع بأنني كنت السبب الأول والأخير في شهرتها؟! ..وخلودها؟!.

وأنني السبب في جمع كل هذا الكم الهائل من المعجبين والمعجبات.. والجوائز؟؟..

ربما يرضي ذلك الاعتراف طموحي!!

ربما.. !!

هروب إلى الشارع الخلفي

حان الوقت الذي كنت تنتظره لتتوه من جديد في غمرة الهوى واللهو حتى فجر اليوم التالي. مرت فترة وأنت تمارس طقوسك الجديدة ولا تعترف بما ظل رفاقك وأخوانك يفعلونه منذ بدء الخليقة.

قمت متثاقلاً بسبب النعاس والظلام وهدوء الليل، وفرحاً متلهفاً للبرنامج الذي ستذهب إليه.. خرجت من الفتحة الصغيرة المعتادة، قاصداً حبيبتك المرهفة، التي تسكن في الشارع الخلفي من مسكنك..

أخذت بعض الأشياء معك، كأس الخمر المستورد، حلويات، متبلات، فياغرا، وبعض القمح والذُرة لزوم السهر والصياعة والارتواء من مناهل الجنة الجديدة. لم تنس عند لحظة خروجك أن تسحب بخلسة جهاز الموبايل من الشاحن، وتتهيأ لاستعماله في تنبيهها برنَّة واحدة بعد وصولك منزلها، لتفتح لك الباب دون أن يحس بكما الباقون حسب الاتفاق والطريقة المتبعة..

منذ سنوات قليلة؛ بدأت تعيش هذا الضياع الذي تسميه الموت البطيء.. تعلم بأن الحياة كانت جميلة، وذات قيمة عظيمة بالنسبة لك، لكنها أصبحت في الفترة الأخيرة لا تعنيك كثيراً..

كنت تقدِّم الكثير من الفوائد للآخرين، حتى أطلقوا عليك أسماءهم الرنانة، ورسموك في لوحاتهم. كنت رمزاً للعنفوان والقوة والنشاط، أما الآن فقد صرت بلا قيمة، أصبحت كما

الأشياء البالية التي تجاوزها الزمن، صرت عالةً على المجتمع.. هكذا يبدو إحساسك.. كنت أكثر حبوراً، وأصبحت أشد اضطراباً..

لم يكن غريباً ولا مستغرباً أن تتجه للسهر والسُكر والعربدة مع تلك الفاتنة، أو جارتك المثيرة، التي تدرك بأنها أضحت فاجرةً مثلك، وكفرت بنواميس وطبيعة الحياة.. وها أنت ذا تهرع إليها من جديد، وكما تعودت دائماً، للهروب من واقعك الأليم الذي يفتح عليك قبو مأساتك الحالية.

مَنْ كان لا يعرفك في هذه البلدة؟!! ..

أنت الذي كنت مثالاً للحيوية والقوة والنشاط، لم تكن كسلاناً كغيرك من الآخرين.. يصحون على راحتهم ومزاجهم لأنهم من دون هم، أما أنت فقد كنت السبب الأساسي في التزام ونجاح كثيرين منهم..

وعندما كنت ترفِرف بجناحيك وتصيح مع كل صباح بصوتك الرنان الجميل، تسمعك كل القرية، وتصحو لصياحك الصباحي اليومي المعهود فتحس أنت؛ وهم؛ بمعنى ورونق الحياة.. يزدهر الحب داخلك، وتنمو شجيرات الأمل فيهم. لكن.. ومنذ أن ظهر ذاك الاختراع الذكي الذي أصبح ينبِّه الآخرين، ويمنحهم الصحو في كل الأوقات التي يحبونها، صباحاً ومساءاً.. تدهورت صحتك وأحسست بأن نهايتك قد أوشكت، ولم يعد هناك أي معنًى لوجودك بعد الآن في هذه الحياة ..

وقلت لنفسك منذ تلك اللحظة: " فلتسكر.. وتسهر.. وتمرح إذن.. لا أمل بعد اليوم في مَن أصبح بلا قيمة ...."

ورحت تتخيل نفسك، عندما كنت تعتلي سطوح المنازل في السابق؛ وتؤذِّن في الصباحات الجميلة الهادئة، لم تدر لحظتها أتضحك أم تبكي..!!

وصلت منزلها.. ضغطت بأرقام اتصالها على أزرار الموبايل الذي تحمله. جاءتك مسرعة بقميصها الليلي الخرافي البديع.. منحتْك قُبلتها الرقيقة، فكادتْ أن تقتل دهشة السُّكْر بك.. أمسكت أنت بجناحيها وفردتهما بعيداً عن جسمها وضممتها إليك بحنان.. تعمدتما الصمت في حركاتكما الحميمية وقبلاتكما قبل أن تدخلا معاً فيحتويكما القفص الحديدي القابع بفناء الدار الفسيح..

فعلت كل شيء معها ثم خرجت.. ولم يشعر بك الدجاج والديوك، فقد كانوا جميعاً يغطون كالعادةِ في نومهم العميق.

السارقة الأنيقة

بهدوءِ هرةٍ ألفتْ مكانها المعتاد؛ جلستُ أنا على طاولة بعيدة ومنزويةَ بالمقهَى الشعبي العتيق الذي أصبحت أزوره كثيراً هذهً الأيام حتى كدت أصبح معلماً من معالمه البارزة. بل صِرتُ متيقناً من أن رواده المعتادين؛ متى ما جاؤوا إليه ولم يجدونني لَاستفسروا صاحبه عنِّي.. جلست ووضعت رجلي اليمنى على اليسرى وطلبت عصيراً مثلجاً. تعمدت أن أكون بعيداً عن بقية الجالسين بالمكان، وفي نيتي أن أستجمع ما بذهني من أفكار وأطرحها على الدفتر المفتوح أمامي، فالقصة التي تدور تفاصيلها بذهني أرهقت روحي، وعذّبت سريرتي، جننَّتْني فأصبحت هائماً بسببها كالدرويش.

أعرف أن ولادة الوحي والإلهام وكتابة القصة أمراً مزعجاً، هذا ما يقوله الشعراء والكتاب في كل الحوارات والمقابلات، لأن الأفكار قد تتمرد كما يزعمون، وأنا أخشى تمرُّد فكرتي عليَّ.. فهل يا ترى تفعلها وتحرجني فيهرب الوحي بسببها، ولا أنجح في شيءٍ سوى أن أمنح صاحب المقهى الذي يحتويني الآن قيمة مشروبه الذي قدمه لي..!!

ومن موقعي البعيد عن بقية الجالسين بالمقهى؛ تأملتُ السماء الصافية علَّها تلهمني افتتاحيةً جميلةً لقصتي التي أنوى كتابتها، أو تطلق يراعي فيستمر انفجاره إلى ما لا نهاية.. كان الجو بديعاً، وكل الأشياء تتداعى أمامي، الباعة الجائلون، المارة، الشحاذون، غاسلو السيارات، كلهم كانوا يمرون من أمامي وأنا أُفكِّر في

ماستخرجه دواخلي من حروف، وأسأل نفسي .. ماذا سوف أكتب ياتُرى .؟؟

بدأت في شرب عصير الليمون، حاولت أن أتذوَّقه وأحسّه بطعم مختلف غير بقية شاربيه، أو أن أصنع له في خيالي طعماً آخراً، أو وحياً مُلهماً فلم أستطع.. دندنت ببعض الأغنيات والقصائد الحبيبة إلى نفسي، ولكني لم أُفلح في إخراج حرفٍ واحد يريحني من وجع ومعاناة الأفكار المزعجة تلك .. وفجأةً... لمحتهاً، لمحتها بعد أن كاد الحلم أن يتبعثر، وقاربت خطاي أن تبحر في التوهان الأبدي المريع، وصحت في نفسي من المفاجأة الحلوة ..وجدتها .. وجدتها ..

كانت شابة ثلاثينية، جميلة، أنيقة الهندام والمظهر، تبدو على ملامحها آثار نعمة ورفاهية. ليس هذا هو المهم في القصة لكن الأهم من ذلك كله هو ما فعلته تلك الشقية وحوَّلت الدنيا والمكان أمامي الى مسرحٍ عجيب.. فقد رأيتها وهي بكامل جمالها وأناقتها تسرع الخطى خلْف رجلٍ عجوزٍ وبحرفيّة تمثيلية نادرة تحتَك بجسمه وتسرق من كيسٍ يحمله حزمةً من الأوراق المالية التي يبدو أنه قد صرفها تواً من البنك. فعلتْ ذلك دون أن يحس هو بأي شيء.. رأيتها من مكاني تفعل ما فعلته وتمر من أمامه مبتسمة الوجه، مدعيةً براءة خجولة، وسذاجة أنثى تنتظر المغازلة من رجل ستيني مراهق، ثم ألقت عليه التحية ومضت بسرعة غريبة وكأن شيئاً لم يحدث !!!

ووجدتني مندهشاً وعاجزاً عن فعل أي شيء، فاقداً لقدرتي على التصرف السريع، تملكتني الحيرة، ما بين الصراخ؛ وتنبيه

الرجل للحاق بالفتاة، والقبض عليها، وزجرها، ثم جرِّها إلى قسم الشرطة وحبسها، أم الاكتفاء بالمشاهدة وتشجيع اللعبة الحلوة!!؟؟.

واحترت في أمري ..

مرت عدة ثوان لم أفعل فيها أي تصرف بل ظللت مندهشاً بما حدث...

ربما كان بحثي عن قصة أكتبها، خاطرة هاربة التقطها، أو فكرة عتيقة بوجداني، أو حكاية مِن رحم خيالي، أنجح في إخراجها؛ هو ما قادني لفعل ما فعلت. فقد وجدتُ أقدامي دونما تردد تقودني خلفها بنفس سرعة خطواتها حتى لا تتوه عنِّي بين الزحام، وجريت خلفها مسرعاً. فالسوق العربي عند هذه الساعة يبدو مزدحماً لدرجة يصعب فيها السير سريعاً دون الاصطدام بشخص واقف أو معاكس في الاتجاه. أما هي؛ فقد كانت سريعةً ومحترفةً في كلِّ شيء، حتى في طريقة اختراقها للممرات، والزُقاقات، والمضائق الحرجة، كانت بارعة في اللف والدوران.

فكَّرتُ أن أوقِّف عبثي الذي أقوم به.. وقلت لنفسي لم لا تجر خلفها بسرعة. تلحق بها وتعنِّفها، وتقوم بأخذ ما سرقت من جنيهات وإرجاع المبلغ لصاحبه وإنهاء المغامرة.. لكنني رفضت الفكرة بعد أن انتبهت وتذكرت موقفي الذي أنا فيه الان.. فمن سيصدق أنني لست اللص الحقيقي، ومن سيشهد لصالحي؟ وربما رجعت بالمبلغ فوجدت الشخص المسروق قد حشد رجال الشرطة وقاموا بما عليهم من واجب، وبعد فتح البلاغ وبداية التحرِّي عن الحادثة سيتعقد الموقف أكثر...

إذن علي أن أفكر في مشكلتي فقط، ووجدتني أهمس وأحاور أفكاري ودواخلي من جديد:
"إن انهيت المغامرة فمن أين ستأتي الخاطرة ؟ ومن الذي سيكتب القصة..!!؟؟"..

مشيت خلفها من شارع القصر جنوباً، مروراً بشارع السيد عبد الرحمن، حتى دخلتِ شارع الحرية متجهةً الى موقف المواصلات بالقرب من كُبري الحرية. وسرعان ما تنبهتُ للزحام الذي ستدخل عليه بعد أمتار قادمة، وهنا شعرتُ بالخطر.. فاذا هربتِ منِّي ودخلت ضمن هذا العدد الكبير من الناس؛ وأنا لا أعرف البص الذي تنوي الاتجاه نحوه؛ ستفلتِ منِّي بالتأكيد ويكون كل شيء قد ضاع وانتهى.. وقلت لنفسي مهدداً.."هنا يجب أن تنه المغامرة.. تقبض عليها.. وتختم قصتك، فالأمر بعد هذا الحدّ قد يخرج عن السيطرة..

وكأنها كانت تسمعني وتقرأ أفكاري، أو ربما تشعر بخوفي وخشيتي من هروبها، فسرعان ما أشارت لصاحب مركبة كان يمر بالقرب من مكانها مسرعاً قبل أن يتوقف وينزل عنها مساعده الصغير وهو يتصايح بواحدة من عباراتهم المتكررة السريعة التي تحدد وجهة العربة.. تأكدتُ من صحة سماعي للعبارة بعد أن لمحتُ المكتوب بظهر العربة "الخرطوم- الفردوس" لكنها لم تجد مكاناً وواصلت مسيرها نحو سيارات أخرى داخل الزحام.. طمأنني ذلك، وتأكدتُ من استمرار مغامرتي الاختيارية وبصورة سلسة.. فهي تسكن إذن في نفس اتجاهي الذي أقصده، ولا خوفً بعد ذلك من هروبها خاصةً وأن المركبات المتجهة إلى الاتجاه

المقصود متوفرة في هذا الموقف وليست مزدحمة، ومتى ما هي اختارت واحدة وركبت سأكون خلفها، وأجلس بجوارها، أو على الأقل؛ سأنجح في حجز موقعي بالمقعد الخلفي لمكان جلوسها وأراقبها حتى النهاية..

لكن؛ ما الذي يحدث أمامي؟!...

يتعالى الصراخ.. يشتبك أمامي اثنان من الواقفين في انتظار البص القادم، وأجدني في وسط هذا المعترك الغريب مدافعاً عن نفسي.. أنسى مهمتي الأساسية التي أوصلتني إلى هذا المكان، وأغرق في تفاصيل المعركة التي لست طرفاً فيها، وأنتبه بعد ذلك للسارقة فأبحث عنها ولا أجدها ...

أين هي الآن ؟ وكيف ذهبت دون أن أراها .؟. ومتى ذهبت؟ وإلى أين؟

..أخذتني الحيرة..

ورُحتُ أجري هنا وهناك، أدور حول المركبات التي كانت تقف بالقرب منها قبل لحظات، بل خُيِّل إليَّ، وظننت أنها كادت أن تركب بها وتذهب.. خالجتني كثير من الأحاسيس.. لقد رأيتها بأم أعيني تشير إلى واحدة من هذه المركبات. أين ذهبت يا تُرى؟!.. ووجدتني أبحث من غير جًدوى، لأنني لم أجد لها أثراً، أو خيطاً في المكان، "كأنها فص ملح وذاب"..

واحترت في أمري.. وأمرها.. وباغتتني التساؤلات.. ماذا أفعل حيال صاحب المبلغ المسروق!! من المؤكد أنه الآن قد انتبه لسرقة المبلغ، وسيكون قد أبلغ الشرطة و بدأ بحثه عن اللص...!!

ماذا أفعل إذن؟؟ ..

وقبل أن تهزمني هذه الأفكار والتخيلات رُحت بلا وَعْيٍ منِّي أدافع عن نفسي وأطيِّب خاطرها..

"قد أكون مذنباً. لكن نيتي لم تكن قطعاً الدفاع عن عملية السرقة.. كنت أُمنِّي نفسي بركوب المغامرة ثم القبض عليها بكل هدوء، وإرجاع المبلغ إلى صاحبه.. كنت أظنني "أرسين لوبين"، "المحقق كونن".. ربما شخصية أخرى جديدة لا أدري..

وأخذني التفكير والتأرجح، بل التهافت هنا وهناك.. جرى ذهني كثيراً وبحث عن حل للمعضلة.. تيقنتُ من فشلي حتى ضحكتُ على نفسي وقررت شيئاً لمواساتها.. قلتُ: على العموم. هي هربت ولن أجدها مرةً أخرى، لكن ما أثق فيه أنني الوحيد الذي يعرف سر هذه السرقة.. أعرف ما جنته الفتاة.. وما جنيته أنا، وحدي كنت من يملك السرّ، وليس هناك من أحد غيري يعرف شيئاً عن ما حدث.. فلترجع إلى القصة فإنها لم تنته بعد.

وعادت أفكاري المجنونة من جديد..

أخذتِ نفسي تحفزني هذه المَرَّة للبحث عنها بقوة، وقلتُ بإصرار داخلي يجب أن أجدها.. تلك السارقة الأنيقة يجب القبض عليها.. فهي مفتاح القصة كلها.. لكن كيف؟ وأين ؟ ومتى ؟؟. هذا هو السؤال؟..

خطرتِ لي فكرة، وصحتُ بغيظ ولوم داخلي: فلتذهب وتجلس جوار واحدة من ستات الشاي القابعات بالموقف وتطلب منها كوباً من الشاي المنعنع، وبدون سكر، ليشتغل المخ ويبرق ذهنك بحلٍ جديد..

جلستُ على (بنْبَّر) صغير تدَّلتْ حباله من الأسفل، وضعت يدي على جبهتي معلناً فشلي للكل، ومعبِّراً عن حالتي اليائسة. وفي غمرة هذا الضجيج والزحام قررت أن أواصل كتابة القصة..

أخرجت القلم والورقة من جيب قميصي وبدأت في استدرار الحكاية واسترجاع أفكاري التي تصحرتْ وذابت وقستْ عليَّ..

شعرتُ بأن ذهني بات مجهداً وراء هذه المغامرة العجيبة، بل أن عقلي المرهق تعب حد الجنون.. وأنا أتفرَّسُ في وجوه العابرين أمامي، أحسستُ بحالتي التي أصبحت درجةً ما بين الوعي والجنون، شيئاً بين الحقيقة والخيال.. صرتُ مثل كائنٍ لا وجود له، ضقتُ من نفسي، وتصرفاتي، وأفعالي، وتصحرٍ أفكاري وإبداعي ...

كنت في مرحلة أقرب لليأس من الحياة، ولم أنتبه للقلم الذي تمرَّد عليَّ، وتسلل بهدوء حتى أفلت نفسه من بين أصابعي، ولطمني على خدي غاضباً وثائراً..

أصابتني الدهشة، وألجمت الحاضرين مباغتته لي. لدرجة أن جعلت (ست الشاي) نفسها تصرخ وتولول هاربة.. ضج المكان بالهرج. ورأيت في وسط هذه الفوضى، قلمي هنالك؛ يمسك بورقتي ويكتب عليها نهايةً للقصة التي عذَّبتني، ويصرخ في وجهي:

"أنت كاتبٌ فاشل، ومحقق غبي، ولا تستحق أية مكافآت.. وواصل حديثه، "ولكن رغم ذلك سأحلها وأختمها لك"..

- استلِم..

قالها ورمى بحزمة النقود المسروقة أمامي.. ثم مَزَّق الورقة وغاب ..

محمد حسن النحّات

نصوص:

فندق 13

زهرة الجيبسوفيلا

نافذة مائلة



فندق 13

عندما طالعت ظهره وهو مسجى على بطنه بطاولة الفحص، هالني ما رأيت؛ خطوط عرضية وأخرى شبه طولية تتقاطع مع الأولى في غير ما انتظام، بعض الجروح دامية والبعض تخثر، ولم يحتج الأمر لكثير ذكاء لأستنتج أنها آثار سياط، كان الصبي يئن بصوت خفيض، عدلت نظارتي الطبية، وبدأت أطببها. سألت الرجل الأربعيني عمن آذى الصبي، تنحنح مطلقاً سعالاً مفتعلاً دون أن يجيب، فواصلت عملي وأنا أرجئ تساؤلاتي .

لسبب لا أدريه كان هذا المشفى غير معروف، فعندما تسلمت ورقة توزيعي به تجمدت للحظة أمام الموظف المتجهم وأنا أطالع الإسم، اسم عادي من شاكلة ما يطلق على المشافي، اعتصرت ذهني وأنا أبحث بذاكرتي الخربة دون جدوى، سألت الموظف فألقى علي بنفاد صبر وصفاً سريعاً لموقعه حاثاً إياي بالاختفاء من أمامه. ذوّبت من حضرته وتهت في الشوارع الجانبية حتى عثرت على المشفى بعد جهد، وقفت أمام البوابة أتأملها... مبنى أبيض من طابق واحد تكلس طلاؤه، حديقة صغيرة ذبلت ورودها وشجيراتها، ولوحة معدنية مائلة على احدى قائمتيها كرجلٍ أعرج وانطمست حروفها إلا من سهمٍ يشير إلى البوابة، ولجتً إلى الداخل فلفحني هواءٌ بارد اقشعر له بدني.

جلس الصبي قُبالتي وأنا أخط بخط مرهق وصفته الطبية، كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحاً، أطرقت برأسي مفكِّراً... الصبي ومن معه لم يفصحا عن سبب الجروح، التزما الصمت والصغير لم يستجب لإلحاحي حتى بعد أن انفردت به. كان هادئاً ولم يبد أي هلع، مددت الوصفة للأربعيني وأنا أملي عليه كيفية استخدامها، شكراني وشد الصبي على يدي، عندما استدارا التمع بذهني سؤالاً لم أدر كيف فات عليّ طرحه هتفت: "هل أنت والده ؟ " .

ابتسم الصبي ابتسامة واهنة فيما أطلق الرجل ضحكة قصيرة قائلاً: " لا ...هو أعز من ذلك...إنه زميل الكفاح "

خرجا وكفيهما متعانقين.

ليلاً كنت أنام بغرفة استراحة الطبيب لوحدي فكما تعلم لا طبيب غيري هنا، فيما ينام الصيدلي والممرض في غرفة أخرى، ويتوسد الحارس العجوز بساطاً بالقرب من البوابة. ورديتي تنتهي في الثامنة صباحاً فتتسلمها مني طبيبة وهكذا أعود ليلاً للمشفى مرة أخرى، ما كان يجعلني أحسد زميلتي أن عدد المرضى نهاراً يعد على أصابع الكف فيما يتضاعف عددهم بورديتي بصورة موجعة تجعلني أسهر حتى الصباح في معظم الأيام، وحتى عندما أهجع مبكراً يقلق منامي صوت ضحكات خافتة، همهمات مكتومة، أنات ضعيفة، وهسيس خطوات تتجول في الممر أمام غرفتي، كنت لا آبه بكل ذلك ما دام بابي لم يطرق إيذاناً بوجود مريض.

عندما قابلت مدير المشفى يومذاك استقبلني بترحاب كبير بسعة الفرجة بين سنتيه الأماميتين، طالع أوراقي باهتمام وجال بي في الأنحاء معرفاً إياي بالمكان والمكان بي وتحدث عن طبيعة العمل وأمور أخرى، وعند البوابة ربت على كتفي وقرب عيناه من وجهي قائلاً بجفنين يرفان كجناحيّ عصفور: " ستسمع أصواتاً... ستقابل أناساً... لا تأبه لشئ مهما كان غريباً... ستمر فترتك هنا بسلام ". وقتها لم أفهم ولكنني اكتشفت أن احدى عينيه حولاء !.

تزايد عدد مرضاي مع الأيام... وكان ذلك مزعجاً لعدة أسباب، أولاً؛ لا يأتون إلا بعد منتصف الليل، ثانياً معظم شكواهم عن ضربات سياط وجروح مجهولة المصدر، حروق وصعقات كهربائية في جميع أنحاء أجسادهم، ثالثاً صباحاً ينكر الصيدلي أن أحدهم قد صرف دواءً بعد منتصف الليل، فإذن من أين يجلبون الدواء الذي أراهم خارجين به وغرفة الفحص قبالة البوابة ؟!. لم أشك في قواي العقلية وشككت بعقلية الرجل، فإما أن يكون مخبولاً أو لصاً غبياً .

أيقظتني مثانتي طالبةَ إفراغها، خرجت إلى الحمام وأنا أتخبط في ظلمات النوم والليل والممر أمامي يبدو بلا نهاية، اصطدمت برجلٍ منحنٍ لم أره في الظلام، اعتذر واعتذرت... قال لي أنه يبحثُ عن حذائه الضائع، كان يرتدي حذاءً واحداً مهترئاً ويحمل تحت إبطه كرة لم أتبينها، واصلت سيري وأنا أنف أية صلة لي بحذائه. أفرغت مثانتي وعندما عدت شاهدته يواصل بحثه ومع ضوء الشارع الواهن رأيته بوضوح أكثر، ضخم الجثة وطويل كنخلة معمرة، فركت عينيّ، صحيح أني لا أرتدي نظاراتي لكن بصري

ليس بهذا السوء، هل الرجل بلا رأس ؟! وهل الكرة تحت إبطه لديها شفتين وصفي أسنان ناصعة البياض؟! أعدت فرك عينيّ لأفتحهما على اختفاء العملاق.

تزايدت الأحداث التي تطير العقل، زملائي ينفون ما أتحدث عنه ويؤكدون أنها الهواجس التي أخافت الأطباء من قبلي فتركوا العمل ويبدو أنني أسير في الطريق نفسه والمدير ذو الجفنين اللذان يرفان كجناحيّ عصفور لا ينفك من ترديد جملة غبية خاوية: " لا تخف... فقط لا تأبه لشئ".

والحارس العجوز الذي أحس أنه يداري سراً ما يقول وهو يخلع طقم أسنانه: " يمكنك أن تذهب... لكني أؤكد لك أن المرضى قد أحبوك... أنت طبيب طيب ... لا تخذلهم !".

في تلك الليلة الباردة قررت ترك العمل، سأخلد للنوم وفي الصباح سأعلن قراري للمدير وليضرب رأسه بالحائط. أيقظتني طرقات ببابي وصوت أحدهم يعلمني بوجود مريض، ارتديت البالطو فوق ملابسي وحملت سماعتي وخرجت. عند غرفة الفحص هالني عددهم، كانوا بالعشرات وربما المئات!... وكأنني لست أنا... خطوت بهدوء حتى جلست خلف الطاولة... جلت بنظري فيهم... ذاك الصبي والرجل الأربعيني... وهذا المسن صاحب المرض العضال والمصعوق كهربائياً... وبجواره شاب جبرت كسر يده قبل أيام و الآن يده معِوجَة كما رأيتها أول مرة... وهنالك الرجل النخلة الذي يبحث عن َفردة حذائه، حقاً كان يحمل رأسه المقطوعة تحت ابطه... لم أكن خائفاً بل هادئاً كجبل...

معظمهم كانوا مرضى ما بعد منتصف الليل وأخرين أشاهدهم لأول مرة... شبكت أصابعي وقلت: " هه.. وماذا بعد؟!"

اختلطت أصواتهم وعلا ضجيجهم، كانوا يتحدثون في نفس الوقت لكني كنت أسمع كل واحد منهم على حدة كما قلت لك لم أكن أنا إذن هذا المبني كان قديماً معتقلاً لتهذيب من قالوا لا في وجه من لا يرضى إلا بنعم، أخبرني بذلك الشاب ذو اليد المعوجَة، مقطوع الرأس أجابني بأن الجلادين أطلقوا على المكان " فندق الشيطان" ومن يلجه لا يخرج... الصبي حدثني عن أم مكلومة مازالت تنتظر عودته... أخر جال بي في زمان الشعر الكثيف والبناطيل الواسعة وموسيقى الروك... رأيت وقفات احتجاجية ومظاهرات واعتقالات ليلية وعريس انتزع من أحضان عروسه في ليلة الدخلة. ثقل رأسي بحكاياتهم وآلامهم فأسندته بيدي... وساد صمت كثيف، وفجأة بدأت تتعالى أصواتهم، ببطء وايقاع رتيب من الصمت إلى الهتاف ثم الصراخ الحاد...

ساعدنا ...ساعدنا... ساعدنا

دسست أصبعي في أذني

" كيف أساعدكم ؟! "

وضع أحدهم أمامي دفتراً ضخماً، أسود الغلاف، معنون بخطٍ دامٍ " فندق 13.. القصة الكاملة "

" أكتبنا أيها الطيب.. أكتب قصصنا لتمسح أحزان أحبابنا ويكفوا عن انتظارنا، أكتبنا لتطارد الكوابيس جلادينا، أكتبنا لتفك أسرنا من هذا المكان اللعين ولنبدأ رحلتنا الأبدية " .

وجدت نفسي أفتح الدفتر وبدأت أخط حكاويهم. ما أن ينتهي أحدهم من إملائي حكايته حتى يتحوَّل إلى فراشةٍ زاهية الألوان ترفرف في سعادة، ثم تتحول إلى نقطة ضوء مرحةٍ تطوف فوق رؤوسنا ثم تخترق السقف مسافرة إلى الأَعلى.

زهرة الجيبسوفيلا

كنت جالساً أتصفح صحيفة المدينة متقصياً أخبار الكساد عندما سمعت صراخها بالطابق العلوي، شق عويلها جدار الصمت إلا من خشخشة الورق بيديّ، هرعت قافزاً على الدرج وفي البهو شاهدت الخادمتين وهما تسبقاني إلى الغرفة التي يصدر منها البكاء. لحقت بهما وساقاي ترتجفان، هذا دأبهما منذ الصغر، كلما وضعت في موقف مشابه تضطربان كعودي ذرة تتلاعب بهما ريح وتصطك أسناني وغالباً ما ينساب بولي، الحمدلله فأنا الأن أستطيع التحكم في مثانتي وأسناني أما ساقاي فهما متمردتان دوماً.

في الداخل كانت إحدى الخادمتين تحتضن السيدة وتحاول إبعادها عن الفراش، والأخرى تجذب الغطاء على وجهه، لمحت شعره الفاحم ويده المتدلية على حافة السرير، مرتبكاً وقفت لا أتقدم ولا أتراجع وساقاي لا تكفان عن التخبط، عندما رأتني "لازارا" تركت الخادمة وهرعت نحوي باكية، احتضنتني بقوة واهتزازات نشيجها ترجني، رفعت عيناها المحمرتان وهى تقول: أنا آسفة.. أنا آسفة .

فيما خرجت الخادمتان بعد أن قالتا بحزن: تعازينا سيدي.

عدت جالساً بالأسفل بعد أن أبدلت ملابسي الصيفية ببدلة سوداء خانقة، وارتدت " لازارا " ثوباً قاتماً عاري الصدر وقصيراً

حتى فخذيها البضين، انتعلت حذاءً إغريقيا لامعاً بخيوط مذهبة تلتف حول ساقيها الناعمتين حتى منتصفهما، وخلا وجهها من المساحيق فبدت أجمل ما يكون، وأمسكت منديلاً أبيضاً تكفكف به أدمعها. أحضرت لها الهاتف كما طلبت من طرف الصالة الى وسطها حيث تجلس، بينما قلبت صفحات نوتة صغيرة وبدأت تتصل على أهلنا ومعارفنا مخبرة إياهم بالوفاة المفاجئة. اتصلت أولاً على " صمويل " صديق الأسرة المقرب الذى حضر في لمح البصر. دخل علينا وهو يربط ربطة عنقه، احتضنني سريعاً وهو يهمس بتعازيه الحارة التي بدت لي مفتعلة ثم غاب في أحضان "لازارا " لدقائق جعلت الغيرة تتصاعد داخلي.. وتجاهلاني تماماً.

صمويل: تعازيّ عزيزتي.. فجعني الخبر حقيقة.

لازارا وهى تنهنه: كان بصحة جيدة، عندما حاولت ايقاظه لم يستجب.

صمويل ضاغطاً على كفها: أنا هنا وأيام الحزن هذه ستنتهي.

وسحبها إلى صدره.

تواقد الأهل والأصدقاء أفراداً وأزواجاً.. حضر العم "كارلوس" وزوجته الجميلة المراهقة، الخالة "أماديس" التي لم أتوقع حضورها، ورب العمل السيد "مكسيمو غوميث"، وعدد من الأصدقاء، كما حضر القس "خوسيه" الذي يبدو أنه أوقظ من نوم عميق فقد كان يتثاءب دون احترام في وجوهنا وبصحبته رجل غليظ الملامح نعته بمندوب مؤسسة دفن الموتى وقادتهما الخادمة إلى غرفة الميت. شد الجميع على يدي معزياً ثم أسرعوا إلى "لازارا" متحلقين حولها معددين مناقب المتوفي في أسىً، كنت أرى

أن جل اهتمامهم ليس مسلطاً على الحديث عن المرحوم وإنما على صدرها ! ما عدا العم "كارلوس" الذي كان مشغولاً بفتاته ملتصقاً بها كأنها ستهرب. كان يسود جوٌ من عدم الاحترام للفاجعة ويتجاهلني الجميع دون استثناء وأنا سيد الدار .

نفد صبري وتوسعت حيرتي فانتزعت "لازارا" من وسطهم فتأوهوا جميعاً كأنما أغلقت تلفازاً يبث مسلسلاً محبباً__ وجررتها خلفي إلى غرفة المكتب.

- "ما الذي يحدث هنا يا لازارا"

تمخطت في منديلها ومسحت دمعاً لم أره

- "أخبريني بالله عليك ما هذا الجنون.. ولمن هذه التعازي؟!"

تبدل حالها إلى كلبة تنبح بوجهي: " ألا تعلم ؟! كلهم يعلمون وأنت تتظاهر بالبلادة "

عضضت على أسناني: "لا أتظاهر بشئ.. جدياً لا أعرف لماذا أتوا معزيين ومن هذا المرحوم بالأعلى"

تصايحنا كأصمين ثم فتح الباب ليظهر "صمويل" قائلاً: " كفا.. ماذا هنالك.. شجاركما يصل إلى الضيوف وستكثر الأقاويل"

دفعته بعيدا عنها: "صمويل أنت أقرب أصدقائي لكني لا أفهمك.. أنت تتجاهلني وتلتصق بزوجتي في حضوري.. ماذا هنالك ؟! "

حك صمويل رأسه ثم رفع عينيه إليها: "حقا لا يعلم؟"

هزت رأسها بالإيجاب

قال: "إذن يجب أن نخبره.. لابد أن يعرف"

سحباني من يديّ كطفل تائه وصعدا بي الدرج ولازارا تمسِّد كف راحتي.

وقفا بي أمام الباب وقالت: "لا تخف.. أريدك شجاعاً.. يجب أن تواجه الأمر"

و دخلا بي

عادت ساقاي إلى عادتهما السيئة ومن حيث لا أعلم صدحت موسيقى جنائزية، دفعاني إلى الأمام، والقس الذي كف عن التثاؤب، كف أيضاً عن تلاوة الإنجيل وأفسح لي الطريق.. غرفتي كما هى إلا من تابوت قبيح أضيف بالقرب من النافذة المطلة على الشارع.. تقدمت ببطء.. ورأيته ممدداً في التابوت وراحتاه على صدره ومرتدياً البدلة الزرقاء التي ابتعتها من رحلتي الأخيرة إلى جنيف.. وجهه هادئ وشاحب إلى حد ما، وشفتاه انفرجتا قليلاً عن نصف ابتسامة..كان أنا.. أنا ميت ممدد في تابوت.

وانساب بولي

" أسف يا عزيزي، كان يجب أن تعلم، لابد أن تذهب.. أنت مت والأموات لا يبقون.. لقد كنا كريمين معك، ولم نتضجر من بقائك حتى الأن لكن حالما يقبر هذا التابوت يجب أن تذهب دون رجعة "

كان هذا صمويل ممسكاً كتفاي براحتيه وضاغطاً عليهما بقوة، نفرت أدمعي، هل هذا حلم ؟! هل أنا أهذئ ؟!.. لا.. أنت لا تحلم.. أنت تتذوق ملح دموعك وتتألم من قبضة صديقك. عاد القس إلى تلاوته متمنياً لى حظاً أفضل في الضفة الأخرى.. وعادت زوجتي إلى ضيوفها بالأسفل.

بالأسفل بدأ الحديث ينحرف عن المرحوم، نقاشات لا معنى لها ولا تمت للمناسبة بصلة، ثم تمادى السيد "مكسيمو غوميث" وأطلق نكتة بذيئة تعالت لها ضحكاتهم التي سرعان ما ابتلعوها عندما حدجتهم خالتي بنظرات نارية. في هذا المنزل شخصان يبكياني بصدق.. خالتي وأنا !

حملوا التابوت وزجّوا به في عربة يجرها حصانان عجوزان، القس تهفف بكتابه حاثاً إياهم على الإسراع فالغيظ شديد. ساروا خلف العربة التي سارت ببطء مقيت إلى المقبرة القريبة، صمويل يمسك بيد لازارا ولا يكف عن الهمس بأذنها وهي تكفكف دمعاً أصر أنني لا أراه.. ثم من خلفهم الجمع الصغير وأنا في المؤخرة تماماً. اختاروا لي قبراً شنيعاً بالقرب من بركة ماء آسن.. أنزلوا التابوب.. ألقى القس موعظته على عجل.. أهالوا عليّ التراب.. وضع كل ضيف وردا على قبري، ورد الجيبسوفيلا الذى ًلا أحبه.. تجاهلوني تماماً وصافحوا لازارا وغادروا سعداء بنهاية هذا الواجب الثقيل. خلا المكان إلا مني وزوجتي وصديقي المقرب.

تأبطا ذراعا بعض

قال لي: " صديقي لا تقلق على لازارا .. هى في عينيّ "

ابتسمت في غنج ثم كشرت في وجهي: "عزيزي أنا أسفة، كل شئ انتهى، إياك أن تلحق بنا .. الوداع "

ثم أرسلت قبلة في الهواء نحوي، وأدارا ظهريهما لي

وقفت حائراً مكتئباً حتى غابا عن نظري وصمويل لا يكف عن الهمس اللعين في أذنها .

نافذة مائلة

بدتْ لي هيئته مِن خلف نافذتي كسيدنا سليمان، اتكاءته على العصا، ظل العمامَة الذي حجب ملامح وجهه، وجلسته الوقورة كملك يشرف على ألوف من الجن الضجرة. قُبيل ساعة كنتُ آيباً من وقفة احتجاجية لضحاَيا حرب الكويت، تقافزتُ متخطياً برَك المَياه الراكدة، وعندما حاذيت العجوز، رفعتُ صوتي بالتحية؛ فَرَّدَ علي بحشرجة غامضة، وأشاح بوجهه بعيدا عني. كنتُ معتاداً على تقلباته الدائمة إلا أنَّني تمنيته اليوم معتدل المزاج؛ فإحباط ما بعد الوقفة يدفعني لتجاذب أطراف الحديث معه. أكملتُ بقية الطريق هرولة وأنا أحتمي بصحيفة أحملها مِن هجير الشمس اللاذع.

تحت الدش أغلقتُ عيني، تركتُ برودة الماء تدغدغني، وشعرتُ بها تحتضنني مِن الخلف، تحسستْ عنقي وانزلقتْ راحتاها لتتمشى على عشب صدري ونهداها العاريان يضغطان على ظهري، فتحتُ عيني؛ فانسحب كل شئ إلا من برودة الماء. أعددتُ كوباً مِن القهوة، وحملته إلى مكاني المفضلَ خلف نافذتي التي تكشفَ شارعنا بأكمله؛ فمنزلي ذو الطابق اليتيم عند أخر ناصية إذا ما ولجتَ الشارع مِن الشرق، وعند أوله إذا ما أتيتَ مِن الغرب. أخذتُ رشفة وأنا أضعَ الصحيفة على فخذيّ، ثم تناولتَ المرقاب ووضعته أمام عينيّ، كان الشارع خالياً إلا مِن سيدنا سليمان المتلفح بثياب العجوز.

عندما ابتعتُ هذا المنزل لم أضف إليه إلا هذه النافذة، طلبتُ مِن البناء اختلاق نافذة معتمة على الجدار المقابل للطريق على أنْ تكون مائلة! نظر إليَّ متعجباً إلا أنَّه رضخ لمشيئتي، بينما زُيِّنت الحوائط الأخرى بصور شاطئ المسيلة وجزيرة فيلكا الخلابة، وبيت السدو التراثي، وأبراج الكويت الثلاثة. هذه الغرفة هي الوحيدة التي أشغلها. هنا أجد نفسي أقرب ما أكون إلى زوجتي التي تركتها هنالك تحت أنقاض المدينة الجامعية. مِن هنا أراقب الطريق، العالم مِن خلف نافذتي يبدو مختلفاً كليةً، مَن هنا يتعرَّى الجميع أمامي، قَد أبدو مختلاً وأنا أقضي ساعات طَوال أتلصص على جيراني، لكن ماذا ستفعل لو كنتَ تعاني مِن الوحدة مثلي؟!.

قلبتُ الصحيفة فلم أجد خبراً ولو صغيراً عن وقفاتنا المتكررة، نرفعُ شعاراتنا وتبح أصواتنا وتغلي أدمغتنا كالمراجل تحت لهيب الشمس، ولا نجد صدى، المركبات تمرق مِن خلفنا مُخَلِّفة بعض النظرات الفضولية فقط، هي لعبة وقت كما قال العجوز: ينتظرونكم أنْ تكلوا وتملوا.

العجوز هو الوحيد الذي حاز على اهتمامي مِن كل أهل الحي، سكنتُ قبله بفترة وجيزة، ظهر ذات ليل شات، كان راجلاً ويتلفح عباءة حجازية باهتة، يتوكأ على عصا أبنوسيةً، وتتبعه عربة نقل تُقل زوجه العجوز وابنه وبناته الثلاث وعدد من الأحفاد الصغار، في هدوء سكنوا منزلاً متهالكاً بين بنايتين فخمتين. أخبرني فيما بعد أنَّ صاحب البيت تعاطف مع حاله؛ فمنحه السكنى إلى حين.

عَدَّلتُ جلستي وأنا أتابع جاري الشاب الذي ظهر أمام منزله، مرتدياً بنطال جينز قصير حتى منتصف الساق وفانيلة ذات

حمَّالات حمراء مُبْرِزَة عضلات لا بأس بها وخلف أذنه سيجار، راوح بين قدميه، فرك يديه، ونظر بحقد إلى العجوز، دعك أنفه الأفطس وأطلق سباباً بذيئاً قرأته على شفتيه ثم اختفى. وضعت المرقاب جانبا وأنا أطلق ضحكة جذلة. العجوز لا يدري شيئاً لكنه حجر عثرة أمام نزوات الشاب وجارتنا الفاتنة. عندما وضعتْ طفلها الثاني ذهبتُ مهنئاً زوجها ذا الأنف الدقيق، ولم أندهش عندما حملتُ الطفل وشاهدتُ أنفه الأفطس.

رفع العجوز رأسه نحو نافذتي، تراجعتُ بظهري على المقعد. نظراته هذه دوماً تربكني، بالرغم مِن أنَّ الزجاج معتم ويستحيل أنْ يراني إلا أنَّ نظراته تخترق العتمة وتخترقني، وأشعر أنَّه يعلم أنَّني خلف النافذة أرقبه. عاد إلى جلسته الأولى، كان كما رأيته أول مرة، عباءة حجازية بالية والعصا وعمامة ضخمة تنتحب على ماض زاهر.

صرتُ خبيراً بتقلبات العجوز النفسية، يستلطفني أحياناً ويدعوني لمجالسته، وحيناً يطردني ككلب أجرب. ذات صفو ومِن بين ضحكاته أخبرتُه أنَّني أعلم أنهم يمرون بضائقة مالية؛ فابنه على باب الله، وبناته لا يعملن وأحفاده موزعون على المدارس، أنهيتُ مقدمتي مُبْرِزاً حِزْمَة نقود. تبدَّلت ملامحه واحتقنت عيناه بالدم، هزَّ عصاه في وجهي ثم أشار إلى منزلي وزأر كأسد داسه الزمن: " اذهب ".انسحبت خجلاً ولم يحادثني لأسبوع، وتعلَّمت دسَّ النقود في يد ابنه.

ذات يوم سألني: (هل تريد تعويضاً لمقتل زوجتك)؟ تلعثمت نافضاً الاتهام عني: (زوجتي لا تُعَوَّض بمال، هنالك فقدتُ

مدخراتي وفقدتُ حياتي بموت حبيبتي، أنا أساند الضحايا أمثالي، أريدُ اعترافاً منهم بأنهم تركونا في العراء تتناوشنا الذئاب، أريدُ اعتذاراً رسمياً عن تقصيرهم بمواطنيهم بالمهجر).

قهقه العجوز: (اعتذار ورسمي).

بانَ ضيقي بملامحي: (لِمَ السخرية؟. يبدو أنَّني سأندم على مسامرتك).

هممتُ بالمغادرة عندما جذبني مِن يدي ثم ربَّت على فخذيَّ مهدئاً: (لا تكن غضوباً. إنني لا أسخَر منك بل مِن حالنا جميعاً، وضعنا كنافذتك مائل، امنحني أذنيك؛ وستنسى تَرهات الاعتذار هذه).

شبكَ يديه على عصاه، ووضع ذقنه عليهما ودون أنْ ينظر إليَّ تحدَّث:

(يا بني. خسائرك كانت بأرض غريبة، ومِن أناس أغراب قذفوا قنابلهم يمنة ويسرة دون تمييز، ماذا لو مقتلعوك مِن أرضك وقاتلوك هم بنو جلدتك؟ في زمان ما لم أكن العجوز الَذي تراه، كنتُ هنالك. بأرض الفردوس، زرعها أخضر لا يصفرُّ، وماؤها عذب صاف، وعشيرة طيبة مسالمة، كنتُ حينذاك كبيراً للبلدة، لم أكن خيال المآته الذي تراه الآن، أفقر رجالنا كان غنياً بحسابات هذا الزمان، الآن لا ضيف يزورني وذاك من لطف الله؛ فلو جاء لن أجد ما أجود به عليه. اليوم أنا مُتَعَطِّل كشَاب أخرق مِن مدينتكم، خرطومكم التي لا أجد بها راحة، مدينة تعيش لَنفسها، ولا تستقبل غريباً حتى تتلاعب بأخلاقه وماضيه، عندما ألقي السلام على هذه المأفونة وأشار إلى منزل جارتنا ذي الطوابق الثلاث والتي

كانت من كبار كارهي أسرة العجوز لأنهم وببيتهم الطيني يقللون مِن " برستيج " الحي!.. لا ترد وتشتم أحفادي كلما وجدتهم يلعبون في ظل منزلها.

آيييه! كُنَّا في الجنة عندما داهمنا الشيطان، نتصيد أخبار الحرب الدائرة في حذر، ولكننا لم نحسب أنَّ لهيبها سيمسنا. ذات صيف والكل في مقيل، أو يعمل في الحقول باغتونا - تمخط في كم جلبابه - باغتونا كضباع الجبل، نهشونا كجيفة، وعندما وصلوا إلى داري لم أجد أنا الشيخ العجوز إلا عصاي لمواجهتهم بها، تقاذفوني ككرة، صفعوا زوجتي وربطوها كنعجة، وجروا ابنتي - تساقطت دموعه بينما احتقن وجهي - تناوب على اغتصابها خمسة منهم وأنا الأب مرمياً كخرقة بالية مشجوج الرأس انتحب كالنساء، ابني الأكبر ظهر كبطل من رمل؛ فأردوه بالرصاص دون أنْ يطرف لهم جفن، وقتها حمدت الله أنَّ ابني الآخر بالحقل.

نشج وهو يحاول كبت أحزانه.

(تركونا وليتهم لم يفعلوا، وجدت فمي مختلطاً بلعابي وملح دموعي ودمي، هل كان دم أسناني المخلوعة أم دماء ابنتي المسفوكة؟! وهربنا تاركين كل شي خلفنا، وتشرَّدتْ عشيرتي، جُلّهم "باركسوني" و"فرشنا " بتشاد، وقلة في "الجنينة" و"الفاشر". طوال فترة هروبنا ظَلَّت ابنتي المذبوحة مكتئبة وترميني بنظرات لائمة كأنَّني أخطأتُ ولم أمت كأخيها الأكبر! نزلنا عند قريب لنا "بالأبيض" وبعد يومين مِن إقامتنا وجدنا ابنتي تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد ابتلاعها الصِبغة، وحتى وهى تتحشرج حدجتْنِي بنظراتها اللائمة).

ـ أيها الغضوب هل ستنتظر اعتذاراً؟!
وجدتُ دموعي تزرف بغزارة وتختلط بدموعه وأنا أعانقه.
تفقدتُ هاتفي، وأنا أشدو بشعر طريف حفظته عن العجوز:
دا وادي ولد الدندول الله يبارك فيه.
كساني لي توب وجبه وسروال.
وعمة توتال وملف شنشال.
أنا ضنيب القط، قبيل ما بعرف المشي حسا بقيت قدال.

أعدتُ الهاتف إلى الشحن، وعدتُ إلى مقعدي أمام النافذة، وكنتُ الشاهد الوحيد. لم يحتج الأمر إلى دابة الأرض كما حدث مع سليمان، تكفلت الجاذبية بإسقاط العجوز على وجهه في بركة آسنة أمامه. اختلط بياض عمامته بسواد الطين. ألصقتُ وجهي بزجاج النافذة متسمراً مِن هول الموقف عندما توقفتِ دراجة نارية عليها شابان لم أرهما مِن قبل. أسرع أحدهما وانحنى على العجوز. فتش جيوبه وعندما لم يعثر على شئ اقتلع العصا مِن يده ثم ركله في بطنه في حنق وقفز خلف السائق. وفرَّا.



محمد خلف الّله سليمان

نصوص:

حمّال نوبي

إسراء البدوي ومعراجه

كرنولوجيا الولد



حمال نوبي

كُنت حمّالاً في مرفأ نوبي. أنقُل الأمتعة والسلاحف والعاج وقرون الخرتيت والعطور والذهب، وأبيع عقاقير جنسية للبحارة والسواح البيزنطيين، وحينما سقطتُ مرة وبان فخذي تعلقت بي امرأةٌ كانت تعرفُني عندما كُنت أميراً إغريقياً في أثينا وهي إحدى وصيفات أمي، فنادتني باسمي القديم تذكرتُ ونفضتُ التراب عن جُبتي، تمرّ البارجاتِ والعرباتِ التي تجرها الخيولُ، أسمعُ الدمدمات الهائلة لصهرِ الحديدِ، وفي الأمسيات أقَودُ حنطوراً فرعونياً فَي شوارَع ممفيس أحملُ في الليلِ سبابَ المخمورين وعناءَ الراقصات وهَمسات العشاقِ المسوسين، وأتقاسم الأجر مع صاحب الحنَطور أجلسُ هناك وَتتراص أكوابُ الماء المقدس، أعلقُ سيفي الملكي وصورةَ الأب من فوقي مُزدانةً بالزمرد. تسللتُ إلى غرفتي، لحقتْ بي وصيفةُ أمي بعد أن غافلت المحظياتِ، تحسست جبهتي، ثم وضعَتْ كفَّها على صدري واستلقتْ بقربي.

كُنت حمالاً في مرفأ نوبي، أحمل الأمتعة والسلاحف والعاج وقرون الخرتيتِ والعطورَ والذهبَ والنبيذ وأبيعُ عقاقير جنسية للبحارة والسواحِ البيزنطيين، وحينما سقطتُ مرة وبان فخذي تعلقت بي امرأةٌ كانت تعرفُني عندما كُنت أميراً إغريقياً في أثينا كان معلمي بالقصر يحذرني من الإفراط في المضاجعة لأنَّها تُضعفُ العقل وتشوشُ الفكر، صار معلمي نجاراً لتوابيتِ الموتى وقد َشهِد المذبحة التي ارتكبها هانيبال في حق ألفي شخَص من

مناوئيه على شاطئ كروتون. تعبُرُ قوافلُ الأعراب إلى الأمصار البعيدة، تظهرُ نجمةُ الشعري اليمانية صباحاً إيذاناً بانطلاقِ موسمِ الخصوبة.
كُنا في ميدان الشهداء بأم درمان غبَّ أن بانت في السماء نجمةٌ تتلألأ
عشت لمَّا كانَ الكلامُ يموت حين يُقال...
رأيتُهم كيف يوارونَ العصور تحتَ الترابِ، ويدعونني باسمٍ من وحل.
وفي الأمسيات أقودُ حنطوراً فرعونياً في شوارع ممفيس، أحملُ في الليل سبابَ المخمورين وعناءُ الراقصاتِ وهمساتِ العشاقِ الممسوسين وأتقاسمُ الأجرَ مع صاحب الحنطورَ.
يقول أبي : إن النكاح يُطيلُ العمر، ويُكثِر النسل.
كُنت حمَّالاً في مرفأ نوبي ... وفي الليلِ أغشى الأماكن التي تثير عواطفي، وأسعدُ بأولئك الذين يخاطرون بحياتِهم من أجل القضاء على مليك جائر.
أقودُ حَنطوراً فرعًونياً في أماسي ممفيس.
سكير...
رجل وامرأة...
امرأة وطفلةٌ تسعل...
قال السكيرُ للمرأة التي تقودُ الطفلة: الطقس!
وتسرب القولُ: خُذي الطفلة للكاهنة نيتو كريس لتتوسل لإلهِ طيبة كي تتعافى البنتُ، هبط السكيرُ ونامت البنتُ، وتشاغلتِ المرأةُ بالفضاء، كانت الهمساتُ تتحشرجُ بين الرجلِ والمرأة.

وحينما سقطتُ مرةً وبان فخذي تعلَّقت بي امرأة كانت تعرفني عندما كُنت أميراً إغريقياً في أثينا...
وحول موقد النار أسموني باسم جدي لأبي.
تطوف في رأسي حكمة هندية:
- يا معلمي كيف ينبغي لي أن أسلُك إزاءَ النساء؟
- كما لو لم تكن قد رأيتهن أبداً
- لكن ماذا أفعل لو تحتَّم على رؤيتهن ؟
- لا تتحدثْ إليهنَّ
- لكن ماذا أفعلَ إذا ما تحدثن إليَّ ؟
- كُن منهُن على حذرِ فحسب إلاَّ أنَّ فكاهاتِ وصيفةِ أمي المرحة أبعدتني عن الحذر، وعن الحكمةِ، لقد صارت تصَبغُ شعرها بشُقرة محببة خاصة لفتى في السادسة عشر من عمره.
كنت حمَّالاً في مرفأ نوبي.. وفي الليل أقود حنطوراً فرعونياً يجوب شوارع ممفيس، يلتقطُ أحشاء المدينة الملفوظة، ويحملُ سباب المخمورين وعناء الراقصات وهمس العشاق الممسوسين.
قال أبي: إن وجدت الأنثى فلا تضيعَنَّ الفرصة.
تمتلئ شوارعِ ممفيس بالعاهرات اللواتي يستوقفّنَ الحناطير العابرة، ويركبن دون أن يدفعن، ويمنحن أجسادهن بسخاءٍ نظير هذه النزهة الجليلة، ويعاشرن السواح مقابل سسترسات رومانية أو مراهم للوجه، تزدانُ وجوهُ الخُلاسيات نعومة في المرافئ وتفوحُ أجسامُهُنَّ برائحة الصابون المعطر.
أمام المرايا الكبيرة سأل الحلاقُ الملك عن كيف يجب أن يقصَّ شعره؟

قال الملك: أن يتم ذلك في صمت.

صمت الحلاقُ وصمتتِ العصافيرُ عن الزقزقة في الأقفاصِ، وصمت المُغني وران الصَمتُ في المكانِ، وظل السيفُ الذهبي صامتاً

كُنا في ميدان الشهداء بأم درمان، غِبّ أن بانت في السماء نجمة تتلألأ

جلس زهير قواد العهد القديم.

وجهاد مومس ذلك العهد.

أبابا التي صارت بغيا لكل العهود، كان وشم الصليب على جباه الأكسوميات مفزعاً.

يضعون أواني الشاي المعد للبيع في فرندة دكان قرب محطة الشهداء التي أنشئت بعد غياب تلك المؤسسة الضخمة بقرار من ذلك المحافظ يقضي بحظر البغاء. لقد مضت قافلة الشهداء، ورائحة البخور الزنجباري تحوم في المكان وتطايرت أصوات منادي السيارات... وتبعثر الباعة الجوالون وماسحو الأحذية وحلاقو ظلال الأشجار وأنا - الآن - أكتب القصص وأقرض الشعر، وأمارس النقد، وأعمل بمهنة لا تمت إلى الكتابة بصلة.

أودع أصدقائي في المحطة وأمضي...

كنت حمالاً في مرفأ نوبي أنقل الأمتعة والعاج وقرون الخرتيت والعطور والذهب والنبيذ وأبيع عقاقير جنسية للبحارة والسواح البيزنطيين. وحينما سقطت مرة وبان فخذي تجلت في روح كنت حمالا في مرفأ نوبي.

كنت أميرا إغريقيا.

كنت ... و كنت ... وكنت..
وأصبحت كاتباً مغموراً جداً في أم درمان.
وها أنا أهيئ روحي لرحلة جديدة.

كرنولوجيا الولد

يحكى أن ولداً كان يرتحل يومياً .
وكان ذلك الولد يتحول إلى أول شيء تقع عليه عيناه.
وكان ذلك الشيء يصبح جزءاً منه طيلة اليوم.
أو جزءاً من اليوم أو لسنوات عديدة أو عصور ممتدة.
(والت وايتمان).

(أ)

كان الحديد نفط ذلك الزمان ...

يقال: إنه في هزيع القرن الخامس قبل الميلادي كانت مروي مدينة يسكنها الناس وتحيط بها الحجارة، تتطاول فيها قلعات الحي الملكي وقصوره وحماماته ونوافيره الملونة ومعابد آمون وإيزيس والشمس والأسد ثم الأهرامات ومقابر الملوك والعامة وأطلال معبدين خرج أتباعهما الفقراء من مِلة الملوك

تنتشر في المدينة متاجر الحُلي والمجوهرَات ومحلات صناعة الفخار المزخرف بضفادع خضراء ومدن أخرى روحانية تقيم الأمسيات الصاخبة.

وتمتد بيوت العامة على الأطراف
يسومون الأطعمة... والشراب...
يرابون، ويتنابذون بالألقاب
يقرأون فرمانات الملك...

يتبارون بالشعر... ويتنادمون
يبارحون الأمكنة إلى مناف ٍبعيدة ٍ

(ب)

رأى الولد في هذا الصباح عشبة الحديقة وغدت العشبة تطوف في الحدائق والميادين العامة يجلس عليها العشاق...
تسمع همسات عاشقين شفيفين يتحدثان عن ساعة اكتمال القمر، ويبحثان عن المناطق المتوهجة الغامضة في روحيهما...
والعشبة ساكنةٌ ومتوحدةٌ تطؤها الأقدام.

(ت)

ارتكب الولد في هذا الصباح حماقة صغيرة بعد أن نهض مبكراً رأى كتاب تفسير الأحلام... الذي صارت تتلقفه الأيدي في المدارس والمكتبات والمتاهات، ويجذبه الناهضون لتوهم من النوم ويستنسخه التلاميذ والباحثون.
لما عاد منهكاً آخر اليوم تمزقت أطرافه وتبعثرت الأحلام.
حكى في زمن لاحق أن رجلاً أتى ابن سيرين وقال: رأيت امرأة مختونة وسط بيتها، تضطرب على فراشها فقال ابن سيرين ينبغي أن تكون هذه المرأة قد نُكحت على فراشها في هذه الليلة وكان الرجل أخاً للمرأة وكان زوجها غائباً فقام الرجل من عند ابن سيرين وهو مغضب على أخته مضمر لها الشر فأتى بيته فإذا

بجارية أخته قد أتته بهدية وقالت: إن سيدي قدم البارحة من السفر.

ضرب الولد رأسه على الحائط... وأفاق... واتخذ كتاب (الكاماسوترا) أوضاعاً مختلفة فصارت المرأة غزالاً وبقرة سماوية وكوبرا ومحارة تكسو نفسها بخلاصات الورد والطيب والزعفران.

(ث)

الولد الذي ركل الملك برجله في منامه، ركل ديناراً عليه صورته في صحوه...

(ج)

أرسلته أمه لبيت ناس التاية بنت الفضل، دخل، ووجدها تجلس في (بنبر) لاصطياد الشمس، وكأنما تراه لأول مرة...

رددت هامسة

أهو الولد...

أم الملك؟

الملك...

أم الولد؟

الـ... وتحول (بنبر) التاية بنت الفضل إلى عرش عظيم.

لم تكن التاية بنت الفضل ترى طشاشاً.

مسحت وجهها بطرف ثوبها، وسقطت المرآة على الأرض وتهشمت، فتطيرت الحاجة من شر هذا اليوم وشر ما بعده وتناثر وجه الولد شظايا.

(ح)

ما جاء في الخبر أن الولد الذي شرب سيجارة (بنقو) قبل ثلاثين عاماً صمت منذ ذلك الحين ولم يكلم بعدها إنسياً...

ربما يتراءى له الآن شبح صديقه الذي اختطفه النهر وظل غائصاً في قيعانه المزركشة...

لقد تبدى له الصمت في صورة غريق، وغدا يلتقط الأصوات التي تحوم في الفضاء منذ قرون، ولا تستقر...

أصوات ديانا في الغابة...

وصوت الخليل (إتلم خيل الضل على الأريل في مشارعه الصيد ورد وقيل).

أصوات الملوك وهم يوبخون الوزراء، يولون ويعزلون وينهون ويأمرون أصوات الكهنة وهم يرددون التراتيل الدينية القديمة...

أصوات السحرة والمشعوذين والعرافين...

وصوت يونس إمرة القائل (طلعت على شجرة البرقوق وأكلت منها العنب فنهرني صاحب البستان وقال لي: لِم تأكل جوزي ؟)

أصوات المؤذنين...

أصوات لغات سندية وبنجابية وأوردية وآرامية وفارسية ولاتينية صوت النداءات في الأسواق..

صوت شهرزاد...
وأحاديث معروف الاسكافي وهو يسرد لأهل مدينة اختيان ختن حكايته الجديدة...
أصوات كازنتزاكي وكافكا ولوتريامون...
أصوات الممرورين والمتنبئين والمجانين...
أصوات المغنيين...
أصوات المشاجرات والشتائم...
صوت المرأة وهي تضطرب في فراشها...
صوت التاية بنت الفضل...
صفير الناس في السينما...
صراخات الكرة...
هسيس الأرواح التي تسكن الأشجار...
ومازال الولد يجمع الأصوات بحثاً عن صوته الذي راح مع النهر متتبعا الموجة...
كان الحديد نفط ذلك الزمان...
والولد جاء من بلاد بعيدة...

(خ)

في اليوم السابع، استراح الولد الذي تشوشت حواسه وما فتئ يفتش صوته الخاص، وهو يتجول بين مدينة وأخرى وزمن وآخر...

إسراء البدوي ومعراجه

أمام المحطة يقف بائع الحلوى الضرير اليوم بأكمله يمدّ صندوقاً من الحلوى للسابلة، أدخل شخص يده فى جيبه، وأخرج نقوداً وضعها فى كف الضرير دون أن يأخذ الحلوى، ركض البائع خلفه، وهو يتحسس فراغاً وهمياً، تناثرت محتويات الصندوق، دهستها السيارات المارة سريعاً، اندفع البائع مهرولاً، تواصلت أبواق العربات وهديرها المرعب، تدحرج البائع الضرير تحت عجلاتها، نطفة فعلقة، فمضغة، والساعة تضج بعويل قاسٍ، يرتفع، ثم ينزرع الصمت على الأبعاد اللامحدودة من الطريق، استلقى الجسد الطازج والدم الهادر يلون الأسفلت... مات.

والمدينة، التنين الاسمنتى الهائل تعيش حياتها الاعتيادية، يخرج العمال والموظفون فى تمام السابعة صباحاً، حركة المرور سالكة، الحوانيت تفتح أبوابها للريح، والزبائن، وتلاميذ المدارس، السواح المبكرون يلتقطون الصور و(سلمان البدوى) يرى عالمه أكثر عمقاً، واتساعاً، يبصره بكلتا عينيه بوضوح مشرق منذ بدء التكوين حتى لحظة اكتمال الخليقة، وإبداعات الخالق فى يوم مقداره خمسون ألف سنة، يتسع فضاء (البدوي)، ويستوعب بعداً ميتافيزيقياً لا حد له، يحلق كنورس بحري، بوصلة للبحارة والصعاليك، ليشكل عوالمه من الناس، والمحطة ممثل يدمر الحيطان الزائدة على رؤس الأشهاد، ويعيد البناء يمارس عادته المتجذرة فى تجريد الخلق،

وتشريحهم، يحاورهم حواراً داخلياً مضنيا، ويكشف أزماتهم دون أن يخاطبهم، يسافر، تكثر مشاهداته، رغم إنه لم يفارق المكان.

الوقت الساعة السابعة صباحاً، وموظف يسرع الخطى، تفتح المحال التجارية أبوابها للريح والزبائن وتلاميذ المدارس، والنيل لا يغضب الا نادراً، كالـ.. وتماماً يجيء النيل سكراناً مترعة كؤوسه بالخمر والأسى، لم تمر الفتاة التي تبتسم له أحياناً، توارى الأولاد خلف كتبهم المدرسية.

يأتي (الباص) الذي يستقله، ولأنه رأى وبكل تأكيد شيئاً غريباً فى هذا اليوم، لم يدرك (الباص) (نخلة راحت للنبي محمد، وشكت العباد الذين حاولوا اقتلاعها لأنها تعوق مسيرتهم، مسح النبي عليها بيده فاستقامت، وصارت مزاراً).

حتى النخيل يعرف كيف يطرح أحزانه، هزى إليك بجذع النخلة تساقط أفراحاً، وأشواقاه إلى أفراحي التي لما تأت بعد، وأنا (سلمان البدوي) الواقف هنا من زمن لم تشر إليه الساعة المعلقة فى كل مكان، وغير المسؤول عن تناقضات هذا العالم، والمسؤول عنها فى نفس الوقت، لا لأني أنتظر (الباص)، بل لأني أشارك آخرين فى انتظاره، وأنا بهذا كله لم أخسر أي شيء، لأني لم اكتسب شيئاً بالفعل، لكني رأيت أمراً عجباً، فهل أواصل مسيرتي العرجاء، أم أنتظر (الباص) الذي قد لا يأتي مطلقاً؟

أهاجر إلى جذوع الأشجار، وزرقة النهر، أصفر إلى أسراب العصافير، أعانق القباب، والأضرحة، أرحل إلى واد غير ذي زرع، الصباحات البهيجة، وممالك العهد القادم، رسوماًت الأطفال، فوضى الأشياء الجميلة، أتخطى تواريخ اللاهوت، الأزمنة

السحيقة الغارقة فى الطوفان الدموي، المتجرعة لأنخاب الحزن الإنساني منذ العصر النيوليثى، الساكنة فى جوف الحوت الإلهي، والمدينة السديمية غير المخططة جغرافياً، إذ جعل عاليها أسفلها، وأسفلها عاليها، وحق عليها العذاب، ودمرت تدميراً، ترتفع فيها البنايات، والنخيل والأبنوس، والسدر، لأشجارها رؤوس أطفال مقطعة، ولحواريها رائحة اللحم البشري المشوي، تنتحر فيها العصافير انتحاراً جماعيا وسط طبول الموت ويتلاشى الصوت إلى الأبد، والحنطة تلعن الشمس، والورود يقتلها الظمأ في صناديق مغلقة عليها (خطر)، مرسومة عليها جمجمة بعظمين متناحرين، أين يذهب البدوي والساعة، الإيقاع ينبض فى شرايين التوجس، والحرائق تلتهم الشرف الجديدة، والملابس المنشورة على حبل الغسيل، وتحط فراشة جناحيها المتعبين على كم قميص أبيض، فتشتعل الفراشة، والقميص، وتسري النيران، تتدافع الجموع، يصطف صفوفا تلتهب حناجرهم، تنتفض لحاهم، وتسمع الصراخ، العنف يكتب اسمه على الجدران، ولوحات المدارس، تحترق الصحف الصفراء ويصمت المذياع.

تعوي كلاب الحارة العجفاء، الذعر يسكن الحيطان، الأطفال والنساء والشيوخ يركضون، يسقط طفل على لحية شيخ، وشيخ ثمل على ثدي عجوز، وشجرة صلبة، وعاتية ضاربة جذورها في الأرض، وفرعها في السماء.

قادتنى قدماي إلى إسراء في الأرض، ومعراج فى صباح يوم أكثر اخضراراً، إلى أن بلغت سدرة المنتهى، أعد الخطو، أمتلك العالم والأشياء، أكلم الطير، أضاحك النمل، تتكشف الرؤية، أتوحد،

أبصر أطفالاً يأتون، ويرتدون ثياباً بهية، ويأتي الرجال بنضارتهم، وبشارتهم، سقطوا على الأرض، وتشبثوا بذراتها المتناهية، كانت الأجساد تشتعل، والقلوب تشع لمعانا، و(البدوي) داخل الزمان، والمكان يرفع ساقه اليسرى ليركب (الباص) القادم لتوه.

منصور الصويـــم

نصوص:

حزين مثل دولاب خشبي قديم

استحـــــلاب

لذة خاصة لأجل السلطان



حزين مثل دولاب خشبي قديم

هذا الرجل حزين فعلاً، حزين جداً، حزن مسكين، متوارٍ، لا يلاحظ، متلاشٍ، في الظل، مثل دولاب خشبي قديم؛ منسيٍ في الظلمة، داخل مخزنٍ قديم، ممتلئ بالأشياء والأدوات الخربة، مستنفدة الفائدة، ضائعة الزمن. يقف على قوائم ثلاث فقط، كأنه سينكفئ على وجهه لولا انفتاح بابيه وتساندهما على الأرض اتقاءً للسقوط. أرففه الداخلية متساقطة، مائلة، مثقوبة ونخرة. ضوء من غبار يتسلل عبر ثقب في الجدار يضربه في القلب المنبعج ثم يرتد منكسرا إلى الخارج في شريط طويل يقرأ الأشياء القديمة المتراكمة فوق بعضها حتى السقف. مثل الرجل الحزين جداً يحدق الدولاب بالأرض، أرضه بالذات، وكأن رأسه مشدودة إليها بسلاسل من حديد.

الرجل الحزين، مثل الدولاب الخشبي القديم، كان ممسكاً بفنجان قهوة، في الحقيقة كوب قهوة، كوب من تلك الأكواب الزجاجية الرخيصة المستخدمة بكثافة لدى بائعات الشاي المنتشرات هناك وهنا، وهو كان يجلس هناك؛ تحت ظل شجرة لبخ ضخمة، على تكوين أسمنتي شائه، كان أثراً على بناية ما؛ بين أصابعه كوب القهوة السوداء، ارتشف منه رشفات صغيرة وتركه جامداً هكذا بينما أسلم عينيه لسلاسل الأرض تجذبه إلى التحديق نحو نقطة ما. المكان حوله ضاجاً بالحركة والكلام وصدى ارتطام الأكواب بالملاعق ورشفات الشاي والقهوة

وضحكات بائعة الشاي المجاملة ودوي نفير سيارات بعيدة؛ لكنه مثل الدولاب الخشبي القديم كان غارقاً في غربته، منكفئا على وجهه يكاد يسقط لولا يده الغائصة في التراب المبتل بالماء.

لم يتذكر أحد قط الدولاب القديم بعد رميه في مخزن الأشياء البالية. لم ينتبه أحد قط للرجل الحزين الجالس ممسكاً بكوب القهوة السوداء ويده مغروسة في التراب. ربما كان الدولاب هدية عروس - ماتت منذ وقت طويل - في يوم زفافها، ولا شك أن رفوفه المتشققة تضمخت في أزمانه القديمة بعبق العطور والصندل، وضمّت في حنان ثياباً حريرية ونقوداً وذكريات ثمينة. وربما كانت للرجل الحزين جداً، حياة تسبق هذه اللحظة الضائعة المتقشرة كطلاء فورمايكا الدولاب القديم. ربما كان حزيناً ولكن ليس إلى هذه الدرجة، أو لم يكن حزينا حتى، لا توجد أمام عينيه سلاسل غبارية من ضوء تشده إلى الأرض ليحدق في حفرة حزنه الآخذة في الاتساع مع كل رشفة من قهوته السوداء الباردة.

ربما ما كان هناك قط رجل حزين إلى هذه الدرجة من الحزن القديم اللئيم الذي لا ينتهي، مثل دولاب خشبي قديم يكاد ينتهي بين ركام الأدوات الصدئة المنسية في مخزن متداعي الحوائط.

استحـــلاب

عينان صغيرتان، أو موضعهما صغير، مساحتهما صغيرة. العينان صفراوان، خفيفتا الصفرة. صفرة ليست كصفار البيض. صفرة باهتة رقيقة متعثرة الانتشار. العينان صغيرتان، مُسبلتان، أو ناعستان، جفناهما مرتخيان، يبدوان أسودين. الحدقتان تحدقان، أو لا تحدقان. تريان ما تريانه، أو تريان ما لا يُرى. العيون ساكنة في حركتها، أو هي متحركة في سكونها، لكنّ الشفتين تتحركان ببطء، برقة. السفلى لا تلحظ حركتها، تضم وترتخي في تتابع رتيب متواصل. العليا تمد وتضم. الشفتان غليظتان، رقيقتان، تحوطان خرقة القماش. الخرقة لونها مبهم، أو لونها واضح، أو هو إعصاري. الأعاصير التي تبدأ نحيلة ثم تكبر حلزونياً، وتصير كالأهرام المقلوب. الخرقة لونها من الأعاصير، لونها منها. الشفتان تضمان الخرقة بحنوٍّ، برقة، ثم تطلقانها. وهكذا تبدوان: شفتان غليظتان منفرجتان تنتظران شيئا. اليدان أصابعهما تتحرك. أصابع ناحلة تتراجف. الأصابع تمسك بالصباع، تستحلب. السائل يتدفق بتكاسل متدليا، السائل الأبيض؛ أبيض في بدايات استيلاده لألوان شتى. السائل مرن لزج. السائل متماسك يتثنى كما العسل، العسل لذيذ، والسائل أيضا لذيذ. السائل متمايلا يلامس الخرقة، تحتضنه وتمتصه ثم ترتفع – الخرقة – تلامس الشفتين النشطتين الرقيقتين، تملأ الفراغ وتسده. الصدر يبدو كصدر به نهدان صغيران متبرعمان،

أو هو صدر أملس عادى، يعلو ويهبط. أضلاعه اليمنى تبدو واضحة، واليسرى لا ترى، مخفية. الصدر متراكم الأوساخ، ما تحته – البطن- لا تظهر، أو هي غائبة. لكنّ القدمين واضحتين، تماما ظاهرتان، حاضرتان. قدمان مدهشتان محيرتان، بعيدتان عن التراب، لكن التراب قريب منهما، ذراته تغلفهما تغطيهما. القدمان جميلتان، أجمل قدمين بترابهما واهتزازهما البطيء، مسترخيتان مستمتعتان. لكنّ الشفتين تتقبضان وترتخيان، والصدر يعلو ويهبط، والبطن غائب، والعينان تريان ما تريانه.. لكن – إنه- انتهى.

لذة خاصة لأجل السلطان

* المعانقة:

في اللحظة التي أحس فيها الرجل بارتفاع يد السياف عالياً، غمره إحساس مشرق بهي أضاء أمامه شريط حياته بأكمله، وجعله يحس بسعادة ولذة لم يجربهما طول عمره. فتح عينيه المسبلتين لبرهة خاطفة تابع خلالها وبانبهار تام غرابة ما يحيط به؛ الرجال الواجمين، النساء الباكيات في ألم وصمت، والأعداد الهائلة لعساكر السلطان، ثم السلطان في بهرجته وزينته، ووهمه الكبير.

كم كان يخاف هذه اللحظة الفاصلة بين وجوده وفنائه، حتى إنه وقبل قليل حين قيدوا يديه وقدميه، ورتبوا لعنقه موضع الفصل كان يرتعش ويحس بالدمع بارداً يلتصق بحدقتيه، لكنه الآن في هذه البرهة الممتدة لسنوات يحس بالراحة والمعنى."لم يكن هباءً" قال لنفسه، ثم أغمض عينيه وابتسم وهو يبصر الموت؛ أنيقاً وجميلاً يتقدم ويقترب منه، يربت على خده ثم يعانقه، ويحتضنه.

كالبرق لمع نصل السيف، وهو يقطع سريعاً العنق ويفصل الرأس الأصلع عن الجسد، ليتدحرج ويقع بين قدمي السلطان بالذات. النسوة المتشحات بالسواد أطلقن زغاريد حزينة متقطعة، مفعمة بالألم والحسرة للفقد الأبدي. الرجال الأكثر صلابة من الوهم، أطلقوا صيحات عنيفة، مرعدة تمجِّد الميت والحياة والمطر. الرجال الغارقون في لجة فزعهم الخاص رددوا بقوة طبل

أبكم:"عاش السلطان.. عاش السلطان". السلطان البهرجي المنتفخ، أخذ يبحلق بحسرة في الرأس المقطوع المرمي بين قدميه، وعلى شفتي الرأس ابتسامة رضا. هربت كل الألوان من وجه السلطان، وتركته أبيض كالورق. بقدمه ركل الرأس المقطوع وقال همساً: "كم هو سعيد.. كم أنا تعيس"، ثم تدحرجت دمعتان على وجنتي السلطان السمينتين.

*الموت يهمس بالسر في أذن السياف:

في آخر الليل انزوى السياف وحيداً في ركن حجرته، حزيناً وكئيباً. أمسك كفه بيده، وألم خفيف آخذ في وخزه. ألم ظل يحسه طوال سبعة وثلاثين عاماً، قطع فيها مئات الرؤوس والأيدي والأقدام. ألم خفيف بطرف إصبعه السبابة، يتفاقم عقب كل حكم ينفذه ثم لا شيء. سبعة وثلاثون عاماً لم يقرب فيها الخمر، لم تزره أشباح موتاه. في كل ليلة طيلة هذه السنوات كان يضع رأسه فقط ليسافر في سبات عميق ممزوج بالأحلام السلطانية المتوردة، لكن هذه الليلة كم يحس بالانقباض والاحتراق، منذ أن أطاح برأس الصباح ولمح - في برهة خاطفة - وجه السلطان الملطخ بعبط السنين، برهة كانت كافية لتكشف أمامه فداحة ما ظل يعانيه بقرب هذا الرجل البرميل. زفر بعمق وقال: "كم هو كريه".

أغمض عينيه، وهو يحس بالهواء الرطب المنعش يدغدغ وجهه ويرطب جلده. تنفس بعمق وأحس ببعض الراحة لمقدم رفيقه ومؤانسه طوال السنوات الماضية؛ الموت - صديقه الأثير - يقترب

منه ويجلس بقربه ويربت بيده الثلجية على كتفه. ابتسم الموت في طيبة وحب حقيقيين وقال له: "صديقي، يجب أن تهاجر".
نظر إلى الموت بعينين متحجرتين وآلام إصبعه السبابة تتفاقم.
أضاف الموت: "يجب أن تهاجر.. إذا بقيت حتى الغد سيورطك السلطان في آخر نزوات عبطه الأبدي، وحينها لن تجد من ينقذك، حتى أنا ستجدني متورطاً في لف الحبل حول عنقك".
هزّ السياف رأسه ببطء وسأل صديقه الموت: "أهاجر إلى أين؟ أنا لا أعرف بلاداً غير هذه".
أجابه الموت سريعاً وصوته مشحون بالفرح واللذة: "إلى الشمال اذهب.. إلى البعيد، هناك ستجد لك مكاناً رحباً لتمارس تجهمك الجميل، وستجدني هناك لاستقبالك.. أعدك".
ضغط الموت بيده الباردة الثلجية على فخذ السياف، ودّعه وذهب. فيفجر تلك الليلة اعتلى السياف أوراق هويته ورحل. حدق في القصر السلطاني وهو يمر من فوقه، أحنى هامته قليلاً ولوح بيده لأنوار القصر الباهرة وقال: "باي.. باي سلطان".
* السلطان يطلق سراح أشجانه:
بعد أن ركل بقدمه الرأس المبتسم لم يلتفت إلى أحد، لم يصافح الأيدي الممدودة لتهنئه بالقضاء على المارق، لم يستمع لزغاريد النسوة المستفزة، ولا لصيحات الرجال المتحدية، لمح فقط، ولبرهة خاطفة، عيني السياف البراقتين، وبهما وجد كل الإجابات على أسئلة سنينه المنقضية الهالكة المتسربلة بالوهم والعبط الأبديين. لملم عباءته ومضى إلى غرفته، أغلقها عليه وأخذ ينشج في صمت ونبل جديدين عليه.

عند أول الليل مسح بكم جلبابه دموعه وأخذ يحدق في وجهه المنعكس من المرآة أمامه:"إذن أخيراً تكشفت لك الأشياء، ما تبحث عنه، ما قضيت عمرك تفتش عليه وتنقب التراب والأنفس بحثاً عنه.. قطعت الرؤوس لأجله، وأحرقت المدن لتظفر به، وهو قربك يرافقك صباح مساء، وأنت أعمى لا تراه. كم من رؤوس تأوهت قدامك ورسمت بأهازيجها المعنى؟ كم من وجوه في اللحظات الحاسمة النادرة أهدتك الحقيقة لكنك لم تفهم؟ ولولا هذا الرجل وارتطام رأسه بقدميك، واكتشافك المباغت للعلاقة المدهشة بين ألق وجهه والبريق الشجني لعيني السياف؛ لولا هذه اللحظة الخاطفة الباهرة لظللت أبداً ترفل في عباءات غبائك".

قال هذا ومسح بكم جلبابه دمعه أخرى تحدرت على خده. هز رأسه بعنف وهمس بنشوة الاكتشاف: "الموت ما تبحث عنه يا سلطان الغفلة".

سمعه الموت - الذي كان مستلقياً على الفراش السلطاني يتابع كل شيء - فأجفل وأحس بخوف غريزي على صديقه السياف. تسلل بهدوء وترك السلطان يسبح منتشياً في بحيرة اكتشافه.

* ليلة السلطان الأخيرة برفقة الموت:

في الصباح افتقد السلطان سيافه الأثير، أرسل مندوبيه ليأتوا به. بعد البحث عادوا وأخبروه بأن السياف مفقود، أمرهم بالبحث ثانية وأخذ يبحلق بقلب راعش في مصيره الباهت.

عند المساء دخل على السلطان رجاله وأخبروه بأن أجهزتهم رصدت رائحة السياف تنساق بعيداً. "هاجر السياف"، هرب، قرأ

الرسالة، علم بالأمر، اللعنة عليه.. جرجر السلطان جسده الضخم وذهب. ترك رجاله واجمين ومضى. أغلق باب الحجرة عليه، رمى عنه العباءة واقترب من المرآة وتأمل منظره البشع:"إذن الخائن تركك وحيداً وهرب. لكنك لن تتراجع. لن تدعهم وحدهم يظفرون بلذة الاكتشاف". تأمل جسده المنتفخ بفعل الأوهام، ابتسم وأضاف: "الأوباش طوال هذه السنين يستمتعون ويتلذذون، وأنت السلطان سيدهم وسيد الأشياء محروم" . تحرك بخفة تتناقض مع بدانته الفاحشة. فتح أحد دواليبه وأخذ يبحلق فيه. اقترب منه الموت – الشاهد الوحيد – وأخذ يبحلق معه. مد يده وتناول زجاجة مزركشة بنساء عاريات قربها من أنفه فشم الموت الرائحة المنتظرة، فابتسم في حكمة الخالدين.

في لحظة خاطفة باغتت الموت نفسه تجرع السلطان السائل حتى آخر قطرة، وبقي منتظراً اللحظة الحاسمة، العبور، اللذة والنشوة. لكن الموت الأكثر حكمة قرر معاقبة السلطان على تحديه ومباغتته، وعلى سنواته الماضية، فابتعد قليلاً عنه وتركه يتلوى ويتوجع ويتقيأ صديد أيامه الغابرة. ثم اقترب منه وعصب بيديه الثلجيتين عينيه ثم دفعه ليغوص في بئر العذاب الأزلي للواهمين، ثم تركه يترنح ويتخبط بين دماء وأشلاء ضحاياه عبر السنين.





المؤلفون وكتاب القصص



أحمد الجالي أحمد أبوحازم:

- اللقب : أحمد ابو حازم
- الميلاد : 1 يناير 1960م
- دبلوم هندسة ديكور التصميم الداخلي المعهد الاستشاري الهندسي الخرطوم.
- روائي وقاص وإعلامي.
- معد ومقدم برامج ثقافية بإذاعة البيت السوداني وإذاعة الشباب و الرياضة.
- عمل صحفياً بعدد من الصحف المحلية .
- أحد مؤسسي نادي القصة السوداني .
- عضو مؤسس لرابطة الكتّاب السودانيين .
- عضو مؤسس لنادي التراث والثقافة الوطنية.
- عضو مؤسس لمنتدى (ضي القمر).
- الأمين العام السابق لمنتدى السرد .
- باحث وناشط في مجال العمل الثقافي.
- شارك في عدد من الورش المتخصصة في الكتابة السردية.
- مُحَكِّم في عدد من مسابقات القصة القصيرة بالسودان.
- قدم العديد من الأوراق المتخصصة في مجال القصة القصيرة والسرد عموماً.

- الإصدارات:

- مجموعة قصصية مشتركة مع أعضاء نادي القصة السوداني "كتاب دروب جديدة – أفق أول" .
- ترجمت قصته "خدر النهارات النائمة" إلى اللغة الفرنسية (من كتيبات المركز الثقافي الفرنسي بالخرطوم).

- الجوائز:

- الجائزة الثالثة في مسابقة علي الملك للقصة القصيرة التي نظمها المركز الثقافي الفرنسي بالخرطوم .
- الجائزة الأولى للقصة القصيرة التي نظمتها إذاعة ملتقى النيلين .
- الجائزة الأولى للقصة القصيرة لجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي الدورة الأولى، التي تنظمها شركة زين للهاتف السيار، عن مجموعته القصصية (يناير بيت الشتاء).
- الجائزة التقديرية في مسابقة الطيب صالح للكتابة الروائية مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بأمدرمان.
- يعمل الأن مُعد ومُقدم برامج ثقافية في إذاعتي: أم درمان FM93، وإذاعة البيت السوداني.

الهادي علي راضي:

كاتب وصحافي يعمل بالتعليم العام – ولاية الخرطوم.

- رئيس منتدى السرد والنقد 2011 – 2012.
- نائب رئيس منتدى السرد والنقد 2012 – 2013.
- عضو مؤسس – جماعة الغاليري الثقافية.
- عضو مؤسس – المركز السوداني للثقافة والتوثيق.
- عضو مؤسس – منتدى نيالا الثقافي.
- عضو مؤسس – فرقة جبل مرة المسرحية.
- عضو مجلس عمادة مركز الدراسات الثقافية.
- عضو رابطة الكتاب السودانيين.
- عضو تحالف منظمات من أجل دارفور.
- عمل محرراً بالقسم الثقافي – صحيفة الوطن 2007-2009.
- محرر بجريدة القصة السودانية الشهرية 2009.
- شارك في تحرير كتاب قصص شعبية للأطفال.
- شارك في تنظيم عدد من المسابقات والورش والمهرجانات.

- الجوائز:

1- المركز الأول لجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي 2016. عن مجموعة (فانتازيا أُنثى الشط).

2- المركز الأول في مسابقة أفضل قصة إنسانية على مستوى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، من اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2008. عن قصة (الطائر المعدني).

3- الجائزة التقديرية لجائزة الطيب صالح للإبداع الروائي 2018، عن راوية (فريق الناظر).

4- جائزة محلية الخرطوم للقصة القصيرة2010.

5- جائزة منتدى السرد والنقد في القصة القصيرة 2009.

6- جائزة مسابقة القصة القصيرة – كلية الإمام الهادي 2005.

- الورش والمحاضرات:-

- ورشة الكتابة الإبداعية - المجلس الثقافي البريطاني.

- الورشة المستمرة للقصة القصيرة - نادي القصة السوداني.

- ورشة الكتابة الإبداعية - منتدى السرد والنقد.

- ورشة الإبداع في خدمة الأيتام.

- الدورة التدريبية للأسس العامة لكتابة القصة والسيناريو - المستشارية الثقافية الإيرانية بالتعاون مع كلية الإمام الهادي الجامعية.

- ورشة الكتابة الإبداعية - مجموعة لمتنا كتاب.

- ورشة أسس فن القصة القصيرة - النادي الأدبي كلية الطب جامعة الخرطوم.

- محاضرة فن القصة القصيرة الحديثة - كلية الوسيلة للعلوم والتكنولوجيا.

- محاضرة فن القصة القصيرة وأفق التجريب - مركز ري ووردينق للتدريب.

- الإصدارات:

(عسف العسس)، مجموعة قصص قصيرة- دار كلمات للنشر – ط1 2017.

(فانتازيا أنثى الشط) مجموعة قصص قصيرة- حائزة على جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي 2016.

البريد الإلكتروني:HADIRADI2@GMAIL.COM

جمال الدين علي الحاج:

الميلاد الخرطوم بحري، السودان. يحمل بكالريوس العلوم البيطرية. وماجستير الأحياء الدقيقة، كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم. ويعمل حالياً استشاري ضبط الجودة بمدينة الدمام بالمملكة العربية السعودية.

- النشاطات الأدبية:

- عضو مجلس قطاع الثقافة والحضارة مسئول عن محور تطوير التعليم بالسودان بمجلس الخبراء للسودانيين العاملين بالخارج.

- عضو المكتب الثقافي بتجمع خريجي جامعة الخرطوم. مسئول عن خريجي المهجر.

- عضو في كثير من الجمعيات والمنتديات الثقافية المهتمة بقضايا الفكر والثقافة والأدب في السودان والوطن العربي.

- الإصدارات والمنشورات الأدبية:

- (جنوكورو)، رواية، مكتبة جزيرة الورد- القاهرة. طبعة ثانية 2016.

- (فلين جذور الصفصاف)، رواية، حائزة على جائزة الطيب صالح التقديرية للابداع الروائي (مركز عبد الكريم ميرغني) 2016، صادرة عن مداد للنشر- دبي.

- (الباترا مخاوي الطير)، رواية، حائزة على جائزة الطيب صالح التقديرية للإبداع الروائي (مركز عبد الكريم ميرغني) 2017 صادرة عن دار الأدب العربي- الدمام.

- قصة (سواد النهار) نشرت ضمن مجموعة قصصية (آن لنا أن نروي) عن دار بلا أقنعة بيروت مع مجموعة من القاصين العرب.
- قصص منشورة في كتاب (ضفاف السرد) الصادر عن منتدى النورس الدولي الثقافي وضم نخبة من القاصين العرب.
- له عدد من القصص القصيرة المنشورة بالصحف والمواقع الالكترونية المهتمة. (موقع القصة العربية، أنطلوجيا السرد العربي، صحيفة الراكوبة الألكترونية ومدونة من باريس وغيرها..).
- شارك في معارض كتب دولية. وأستُضيف بالأجهزة الإعلامية. كما قُدِّمت حول كتاباته دراسات نقدية، وكُرِّم بواسطة الجالية السودانية بالسعودية، المنطقة الشرقية بمناسبة الفوز بالجائزة التقديرية لمسابقة الطيب صالح للإبداع الروائي (مركز عبد الكريم ميرغني) للمرة الثانية على التوالي.
- مهتم بقضايا الثقافة السودانية والتراث السوداني والأدب الشعبي.

عمر الصايم:

- مواليد كوستي حي النصر في 1972/2/29
- تخرج في كلية الآداب جامعة الخرطوم.
- ساهم في تأسيس وقيادة عديد من الكيانات الأدبية والاجتماعية.
- أسس مع آخرين نادي القصة السوداني وترأس مكتبه التنفيذي لدورة واحدة.
- نشر عديد من المقالات والقصص والنصوص الشعرية في الصحف والمجلات المحلية والعربية.

- صدر له حتى الآن:

- مارخدر: رواية
- الإيقاع الأخير لسيدنا الزغرات: مجموعة قصص
- العجكو مرة أخرى: مجموعة قصص
- أوان وردة الأبنوس: مجموعة أقاصيص
- له عدد من الكتب تحت الطبع

E.MAIL:OMARALSAIEM@YAHOO.COM

سارة حمزة الجاك عبد الله:

من مواليد الخرطوم في العام1980م، شهر فبراير يوم الأربعاء الموافق الثالث عشر منه.

تمتهن الهندسة المعمارية، والكتابة.

تعاونت في إصدار ملف صحيفة الأحداث الغراء، ومجلة أيام وليالي، وصحيفة الأيام الميمونة ...

رشحت لنيل جائزة الطيب صالح للرواية في العام 2005 عن رواية بعنوان (المعتقة).

نشرت العديد من النصوص في الصحف السيارة وبعض المواقع الإلكترونية كمجلة المنخل والمحلاج وفوبيا.

- الجوائز:
  - نالت عدداً من الجوائز في البرامج الإذاعية، المعنية بالقصة القصيرة مثل حوارية الحنين وقاطرة وظلال وغيرها ...
  - الجائزة الأولى في مسابقة منتدى السرد والنقد للقصة القصيرة في العام 2009 عن نص بعنوان (إهتزاز في شبكية البصيرة).
  - الجائزة الثانية في مسابقة الطيب صالح للقصة القصيرة في العام 2009 عن نص بعنوان (تأكل)، مركز عبد الكريم ميرغني.

- الجائزة الأولى في مسابقة الطيب صالح للرواية، مركز عبد الكريم ميرغني، في دورتها العاشرة في اكتوبر عام 2012 برواية تنضوي تحت اسم (خيانتئذ).
- حازت على جائزة الكتابة المسرحية عن نص الزغرودة الأخيرة عام 2016

- الإصدارات:

أصدرت في العام 2009 باكورة إنتاجها في مجال القصة القصيرة، كانت بعنوان (صلوات خلاسية) ونشرتها دار الحضارة بالقاهرة. كما صدرت الرواية الفائزة (خيانتئذ) مطلع مارس من العام2013. وتم إعادة طباعة كل من (صلوات خلاسية) و(خيانتئذ) في العام 2015م، كما طبعت المجموعة القصصية الثالثة (كمبا) في 2015م. والمجموعة القصصية الثالثة (بروباقاندا) في2017

أصدرت الطبعة الأولى من رواية السوس - عن دار روافد للنشر - مصر – 2017م.

- المشاركات:

- شاركت في ورشة كتابة الحنين في السرد - المركز الثقافي الألماني - الخرطوم - بحضور الكاتبة الألمانية رشا خياط - اكتوبر 2017 م.
- شاركت في مؤتمر الكاتبات السودانيات والجنوب سودانيات بجامعة إكسفورد في يونيو 2017م.

- **محاسن الطيب الجاك:**

- كاتبة تسكن بمدينة عطبرة. وتعمل في مجال التدريب والتنمية البشرية.
- درست بجامعة السودان كلية علوم الحاسوب.
- تكتب القصة القصيرة والقصيرة جداً.
- عضو إتحاد الأدباء والكتاب السودانين.
- عضو جمعية وهج الثقافية.
- لها نشاط كبير وإسهامات ثقافية في مجال الكتابة ورعاية الشباب وقامت بتأسيس جمعية معين القصة الثقافية.
- عضو في مجموعات عديدة على مواقع التواصل العربية.
- عضو خمسة لجان تحكيم دائمة للقصة القصيرة جدا على مستوى العالم العربي.
- تمتلك مجموعة مقدرة من القصص، بعضها منشور بالمنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية والبعض الآخر لم يُنشر بعد.
- لم تُنشر لها كتب منفردة لكنها شاركت في تأليف عديد الكتب المشتركة في مجال القصة مع كُتاب من العالم العربي.
- ربة منزل وأم لخمسة شباب.

محمد الخير حامد:

كاتب وباحث وإعلامي. كتب عموداً ثابتاً بصحف سودانية مختلفة، كما نشرت له مجلات عربية معروفة كالفيصل السعودية، والرافد الإماراتية، ونزوى العمانية، والمثقف، وديوان العرب. يحمل درجة الدبلوم العالي في الإدارة (جامعة الخرطوم). بكالوريوس الاقتصاد القياسي والاحصاء الاجتماعي (جامعة الخرطوم)، بكالوريوس التأمين (جامعة النيلين).

عمل موظفاً بالقطاع الخاص في مجالات: التأمين والدعاية والإعلان والصحافة. واشتغل مُعدّاً ومقدِّماً للبرامج بإذاعات: (الرياضية 104 FM، الصحة والحياة 106 FM، وإذاعة نور 105.3 FM) بالسودان.

باحث في مجال السياسة والعلاقات الدولية والاستراتيجية. نّشرت له أبحاث، وقدَّم العديد من الدراسات والأوراق العلمية بمؤتمرات دولية.

شارك في فعاليات ومهرجانات ثقافية دولية عديدة منها: مؤتمر الدبلوماسية الثقافية بألمانيا، والملتقى الأدبي الأول لشباب الجامعات العربية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ومؤتمر المركز العربي للأبحاث بالدوحة (قطر)، ومهرجان الشباب العربي العاشر، وبفعاليات دولية مختلفة بكل من الإمارات ولبنان ومصر.

- حائز على عدد من الجوائز في مجالات التأليف، منها:

- جائزة مركز الفكر الإستراتيجي (لبنان) لأفضل الباحثين العرب للعام 2017-2018م، عن بحث بعنوان: مستقبل المنطقة العربية، بعد الربيع العربي.
- جائزة القصة القصيرة للكتاب السودانيين الشباب.
- فازت مجموعته "لعنة الساعة التاسعة القصصية" بالجائزة الثانية لمسابقة نادي القصة السوداني.
- فاز بالمركز الأول في مجال القصة القصيرة بجامعة الخرطوم، ومثَّل الجامعة في الملتقى الأدبي الأول لشباب الجامعات العربية (جامعة الإمارات- مدينة العين).
- أُختيرت نصوصه ضمن ثلاثة كُتاب للقصة القصيرة، وخمسة شعراء سودانيين شباب لتمثيل وفد السودان بمهرجان الشباب العربي العاشر.
- الجائزة الثانية في الشعر الفصيح بمسابقة الاتحاد الوطني للشباب السوداني في الموسم الشبابي السادس.
- نال المركز الأول في مسابقة اتحاد طلاب ولاية الخرطوم لجامعات الولاية في مجال الشعر.
- جائزة مسابقة السيف الذهبي الأدبية بجامعة الخرطوم.

- مؤلفاته المنشورة حتى الآن: لعنة الساعة التاسعة (قصص)، تراتيل على رصيف الشجن (شعر)، وابتسم الشيطان (قصص)، مستقبل المنطقة العربية بعد الربيع العربي، إسرائيل والقرن الإفريقي.

- **محمد حسن النحات:**

طبيب وكاتب قصة قصيرة، وُلد في عام 1990م بمدينة الأبيض، ودرس مرحلة الأساس بمدرستي: كتاب الأبيض، والحارة الخامسة بأمدرمان. والثانوي بمدرسة الشيخ يوسف الدقير. وتخرَّج في كلية الطب والجراحة بجامعة النيل عام 2015م.

نُشرت له عدد من النصوص والقصص بالملفات الثقافية للصحف السودانية.

- حاصل على عدد من الجوائز في مجال القصة القصيرة منها:

- المركز الأول بجائزة صحيفة الوسط البحرينية للقصة 2016م.
- فائز بجائزة عصير الكتب للقصة القصيرة بجمهورية مصر العربية 2018م.
- المركز الثاني في مسابقة صالون نجيب للقصة القصيرة بجمهورية مصر العربية 2016م.
- المركز الثالث في مسابقة الطيب صالح للقصة القصيرة للكتاب السودانيين الشباب (مركز عبد الكريم ميرغني) 2017م.

- نُشر له حتى الآن:

- نص (نافذة مائلة)، بكتاب عصير الكُتب للأعمال القصصية الفائزة.

- نص (زهرة الجيبسوفيلا)، بكتاب "الضائعان وقصص أخرى"، الذي نشر عن مركز عبد الكريم ميرغني للأعمال القصصية الفائزة في عام 2016م.
- نص (فندق 13)، ضمن كتاب الأعمال الفائزة بجائزة صالون نجيب.

محمد خلف الله سليمان:

قاص وروائي وناقد.

مواليد 15 مارس 1955م.

نشر في العديد من الصحف والمجلات والدوريات. وله مشاركات في عدد من الملتقيات الأدبية.

- الجوائز:

- حائز على المرتبة الثالثة لجائزة الشارقة للابداع الأدبي في عام 1997م عن مجموعته القصصية (هوامش من سيرة حمال نوبي).
- حائز على الجائزة التقديرية في مسابقة الطيب صالح للابداع الروائي 2006م، مركز عبد الكريم ميرغني. عن روايته (في تأويل مقام الورد).

- صدر له:

- (في تأويل مقام الورد)، الرواية الفائزة بالجائزة التقديرية لمسابقة الطيب صالح للإبداع الروائي مركز عبد الكريم ميرغني عام 2007م. الطبعة الأولى دار جدار بالإسكندرية 2010م، الطبعة الثانية عن دار المصورات بالخرطوم 2016م.
- (المغني والجوقة)، قصص، مكتبة مدبولي بالقاهرة 1997م.
- (هوامش من سيرة حمال نوبي)، قصص، 2002م، بعد فوزها بجائزة الشارقة.

منصور إدريس حسن الصُويّم:

- الاسم الأدبي (منصور الصُويّم).
- الميلاد: ولاية جنوب دارفور – مدينة نيالا
- درس الدراسات النقدية كلية الموسيقى والدراما – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
- عمل محرراً وكاتباً صحفياً بصحيفة "الأخبار" اليومية، ومحرراً عاماً بمجلة "الحداثة السودانية"

الخبرات السابقة:

- عمل صحفياً بصحف السودان: "الأهرام اليوم، اليوم التالي، الوطن"، ومحررا عاما بصحيفة "تواصل الإلكترونية" بالمملكة العربية السعودية

- الإصدارات:

له خمس روايات:

- "تخوم الرماد 2001.
- ذاكرة شرير 2006.
- أشباح فرنساوي 2014.
- آخر السلاطين 2014".
- "عربة الأموات" 2016.
- ثلاثة كتب بالمشاركة مع كتاب عرب وسودانيين

- الأعمال المترجمة:

- تُرجمت روايته ذاكرة شرير إلى اللغة الفرنسية، تَرجمة فرانس مبير.

- تُرجمت روايته تخوم الرماد إلى اللغة الإنجليزية ،تَرجمة ناصر السيد النور.
- تُرجمت له قصص قصيرة إلى عدة لغات منها الإنجليزية والفرنسية والسويدية.

- الجوائز:

- جـائزة الطيب صالح للإبداع الروائي 2005م. عن رواية ذاكرة شرير – الخرطوم السودان.
- جائزة هاي فستيفال لأفضل 39 كاتبا عربيا دون الأربعين عن مجمل أعماله.
- جائزة الطيب صالح للإبداع الكتابي – شركة زين في حقل الترجمة (الجائزة الأولى) عن رواية (تخوم الرماد) للمترجم ناصر السيدالنور2012.
- مِنحة الصندوق العربي للثقافة والفنون (آفاق) عن رواية (آخر السَلاطين) – سيرة تاريخية عن السلطان علي دينار آخر سلاطين دارفور – 2011.

- المشاركات الخارجية:

- شارك في ملتقى الرواية العالمي في مدينة ليون الفرنسية في العام 2012.
- شارك في ملتقى السرد العربي في مملكة المغرب 2018
- شارك في المهرجان الأدبي المصاحب لفعاليات المسرح الجزائري في الجزائر 2012م.
- شارك في مهرجان هايفيستفال بيروت 39 في لبنان2010م.

- شارك في ورشة الجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر" بإمارة أبو ظبي 2009
- شارك في مهرجان طيران الإمارات للآداب 2009
- أُختير ضمن ثمانية كتاب عرب شباب في أول ورشة للسرد "الندوة" التابعة لجائزة البوكر العربية في العام 2009 بإمارة دبي، وصدر عن هذه الورشة كتاب باللغتين العربية والإنجليزية للكتاب الثمانية عن دار الساقي.



حول سلسلة إبداعات سودانية

يهدف مشروع سلسلة إبداعات سودانية إلى نشر الإبداع السوداني المكتوب في مجالات: القصة القصيرة، والقصص القصيرة جداً، والشعر العامي والفصيح، على نطاق واسع. ويسعى إلى تحقيق فكرة التوسع والانتشار الإلكتروني، والوصول إلى القارئ الجديد والمواكب الذي ارتبط بالكتاب الإلكتروني أكثر من الكتاب الورقي، من خلال النشر والتواجد عبر كل المنصات الإلكترونية الممكنة.

ونرجو من الكتاب السودانيين الذين لديهم الرغبة في المشاركة والإنضمام إلى هذا المشروع الجديد؛ إرسال النصوص المراد نشرها وفقا للتفصيلات الآتية، والعدد المشار إليه في كل بند:

- القصص القصيرة: يرسل الكاتب عدد ثلاثة نصوص قصصية.
- القصص القصيرة جداً: يرسل الكاتب عدد خمسة نصوص قصيرة جداً.
- القصائد باللغة العربية الفصحى: يرسل عدد ثلاث قصائد.
- القصائد العامية: يرسل الكاتب ثلاث قصائد.

مع سيرة أدبية في حدود 150 كلمة باللغة العربية.

شروط مهمة يجب مراعاتها عند إرسال المواد المراد نشرها:

- هناك لجنة قراءة لكل جنس أدبي، وهي من يحدد صلاحية/ أو عدم صلاحية المواد الأدبية للنشر.
- للجنة رؤيتها عند نشر كل كتاب. وقد يتم التحرير وفقاً للترتيب الأسبقي، أو الأبجدي، أو بناءاً على التيارات وطريقة وأسلوب الكتابة، أو استناداً على بناء الكتاب حول موضوع معين، أو ترتيب الكتاب عمرياً. أو ما تراه مناسباً. وبالتالي فالكاتب ليس مسؤولا عن طريقة الإخراج والنشر.

يكتب عند الإرسال:

(قصص قصيرة/ قصص قصيرة جدا/ قصائد فصيحة/ قصائد عامية/ للنشر في سلسلة إبداعات سودانية).

ويجب أن يرفق الكاتب مع الأعمال وسيرته الذاتية صورة شخصية، بالإضافة إلى بريده الإلكتروني ورقم للتواصل.

- يشترط أن يكون الكاتب سوداني الجنسية وتتوفر في مادته الشروط الفنية للمؤلَف المعني.

- ليست هنالك اشتراطات على طول، أو شكل كتابة النصوص شعراً وقصة. وإنما للكاتب الحرية في اختيار النصوص التي تعبِّر عن تجربته، ما لم يكن هناك استكتاب، أو طلب مقصود بذلك.

- يعتبر إرسال المواد للنشر موافقة مبدئية من قبل كل كاتب، ويتحمل المرسل مسئوليتها الأدبية والقانونية. وفي حال النشر؛ سيتم إطلاع المؤلفين.

ترسل الأعمال إلى البريد التالي:

MEDO1199@HOTMAIL.COM

حول سلسلة إبداعات سودانية..

يهدف مشروع (سلسلة إبداعات سودانية) إلى نشر الإبداعات السودانية المكتوبة في مجالات: القصة القصيرة، والقصص القصيرة جداً، والشعر العامي والفصيح، على نطاق واسع. ويسعى إلى تحقيق فكرة التوسع والانتشار الإلكتروني، والوصول إلى القارئ الجديد والمواكب الذي ارتبط بالكتاب الإلكتروني أكثر من الكتاب الورقي، من خلال النشر والتواجد عبر كل المنصات الإلكترونية الممكنة.

ونرجو من الكتاب السودانيين الذين لديهم الرغبة في المشاركة والإنضمام إلى هذا المشروع الجديد؛ إرسال نصوصهم المراد نشرها وفقا للتفصيلات الآتية، والعدد المشار إليه في كل بند:

- القصص القصيرة: يرسل الكاتب عدد ثلاثة نصوص قصصية.
- القصص القصيرة جداً: يرسل الكاتب عدد خمسة نصوص قصيرة جداً.
- القصائد باللغة العربية الفصحى: يرسل عدد ثلاث قصائد.
- القصائد العامية: يرسل الكاتب ثلاث قصائد.

مع سيرة أدبية لا تتجاوز حدود ١٥٠ كلمة باللغة العربية.

سلسلة إبداعات سودانية
(١)